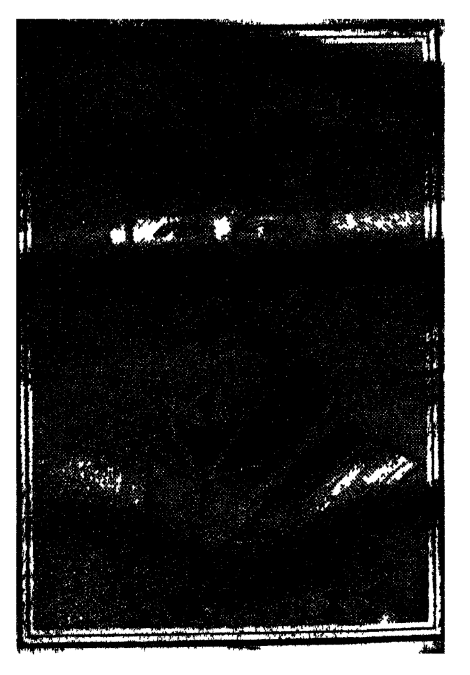
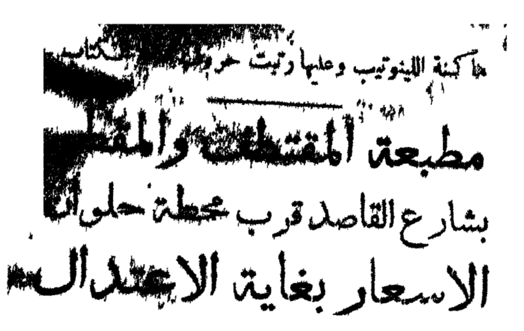
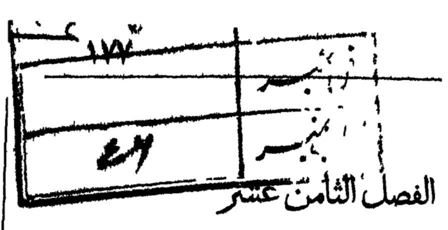


قيصر روسيا



ماكنة اللينوتيب وعليها رتبت
مطبعة المقتطف
بشارع القاصد قرب محطة
الاسعار بغاية الاعتدال



الفصل الثامن عشر

اثر روسيا والنمسا في البلقان

البلغار ذات الوجهين — موقف رومانيا — جواسيس النمسا — سياسة التوغل السلمي — طمع النمسا في ساحل الادرياتيك وسلانيك — السرب والجبل الاسود عثرة املها

المسهور ان روسا هى وصه الامم الصقلبه كلها وحامبها ولا سما الكنبسه الاربوذكيه . فان السرب والبلغار لم سحررا من تركيا الا بفضل روسا . ولكن روسا انتظرت ان يرد السرب والبلغار علبها جزاء معروفها ولما لم يأت الجزاء عفواً طلبته صراحه . فقالت لهما ان كنت ساسهر على حماسكما من اعداء النمسا علبكما فلا اقل من ان تتركا زمام سياستكما الخارجيه فى ايدى ساسه بطرسبرج فانهم اقدر على معرفه ما يجرى فى عالم السياسه لاتساع افق النظر امامهم وضيقه دونكما

فقبلتا الى حين هذا الشرط غير المسطور مذعنين ولكن ذاكره الامم قصيره العمر كما جاء فى المثل وخصوصاً ذاكره امم البلقان . فلما انكسرت روسا على يد الجيش اليابانى ثم سمحت للنمسا بضم البوسنه والهرسك الى املاكها ورأت السرب والبلغار ان روسا عجزت عن مساعده ممالك البلقان على اصلاح حال الصقالبه فى مقدونيه قالتا فى نفسهما ان روسا انما تساعد الذين يساعدون انفسهم

واخيرا لما قامت المسأله الالبانيه وفازت سياسه النمسا وايطاليا فيها على سياسه روسا استاءت اليونان والسرب من ذلك مزيد الاستياء ولكن روسا اعتذرت لهما بقولها لست مستعده الآن تمام الاستعداد لمحاربه النمسا ولكن [illegible]

عهد بعيد تحت حماية الحكومة الرومانية. ولما كانوا منتشرين في جميع انحاء البوسنه وسائر البلقان فان رومانيا تتخذهم حجة وجيهة لتأييد كل اقتراح يقترح لاصلاح البلقان من آن الى آن

وفي كل مرة كانت تطالب فيها بالاصلاح كانت النمسا تصمد لمقاومتها اما سراً واما علناً . والحق يقال ان مسئوليه تأخر مقدونية في الماضي تحت الحكم العثماني واقعه على النمسا لا على تركيا . ولو ان رومانيا خاضت معمعان الحرب الحاضرة بنصف مليون جندي توجههم الى جنوب غاليسيا لساعدت روسيا والسرب ايما مساعدة ولكان جزاؤها بعد انقضاء الحرب على نسبة المساعدة التي تقدمها

ولطالما شاعت من فينا الاشاعات والحكايات عمّا تكيد السرب من المكايد للنمسا وما تدس من الدسائس ولكن ليس ثمة اقل دليل على صحه تلك الحكايات . ولو جاء الدليل وظهر ان السرب استسلمت للدسائس لما كان في ذلك محل للعجب فانها انما تفعل ما تفعل دفاعاً عن نفسها واجتناباً للشراك التي طالما نصبتها النمسا لها . وكانت النمسا تنفق كل سنه مبالغ كبيره من المال على جواسيسها الذين كانت تنتقيهم من اهل «السوابق» وابناء السوء والمعصيه . قال احد ساسة البلقان : فتش سجون البلقان تر ان جميع ثقالتها من رجال البوليس السرّي النمسويين»

ومما يجب ذكره ان بعض اللصوص وقطاع الطرق الذين كانوا ينتابون جبال ابيروس في زمن الحكم العثماني عينوا عند اعلان الحرب رجال بوليس في حكومة انابنا الوقتية وكانوا ينقدون فوق رواتبهم مبالغ كبيرة من قنصل النمسا في افلونا. والبعض الاخر عينوا في البوليس السري بشمالي البانيا ومقدونيه ليبذروا بذور الفتنة ويزيدوا اسباب الشحناء بين ممالك البلقان المتحالفة . والمشهور ايضاً أن قنصل النمسا الجنرال في يانيا كان في اثناء حصرها يفاوض اسعد باشا قائد الجنود

(١) خريطة تقهقر الانكليز والفرنسويين من جنوبي البلجيك الى ضواحي باريس في شهر اغسطس سنة ١٩١٤

مونس
شارلروا
دواي
ڤالنسيين
كمبراي
سولزم
ليكاتو
لوكاتو
اڤين
موبيج
بومون
شيماي
بوهين
بيرون
جويز
هرسون
لاكابل
دينين
امانك
لانكا

العثمانية ويزوده بنصائح لم يكن هذا يطلبها منه . وقد انفق في اشهر الحرب الستة ٢٣ الف جنيه مع ان راتبه لم يتجاوز ٥٠٠ جنيه في السنة . وليس اسهل من معرفة المصدر الذي كان المال يأتي منه والغاية التي انفق عليها . فالمصدر هو النمسا والغاية هي ترويج سياستها القديمة ترويجاً بطيئاً لكن اكيداً وهي سياسة التوغل السلمي في البلقان او يتسنى لها اخيراً بلوغ غرضها من احتلال ساحل الادرياتيك الشرقي حتى افلونا والحصول على منفذ الى بحر الارخبيل بطريق سلانيك

وقد توسلت النمسا الى هذا التوغل السلمي بوسائل شتى مثل انشاء المدارس ومكاتب البوسنه وبث رجال البوليس السري في كل ناحية واثارة حرب تجارية تساعدها الحكومة ويكون لشركة بواخر لويد النمسوية اليد الطولى فيها . وكانت السرب والجبل الاسود العقبة الاولى في سبيل هذا التوغل . فلتمهيد هذه العقبة لم تر النمسا بدّاً من فصل الجبل الاسود عن السرب بالاستيلاء على وادي نوفي بازار . ولكن سلوك ايطاليا سنه ١٩٠٩ وما حازت السرب من نصر باهر في حرب البلقان الاولى افضيا الى منح نوفي بازار للسرب وبالتالي الى خيبة آمال النمسا . فرأت ان تتمحل حجة لمحاربه السرب واغتصاب نوفي بازار من يدها . وسيظهر فيما يلي ان هذا العامل السياسي عاد بالويل والثبور على خطة النمسا الحربية عند اقدامها على الحرب

ان الذين عرفوا الجيش السربي في حربي البلقان يذكرونه بالاعجاب الكثير والاطراء فان فايق بك قائد الفرقه العثمانية التي حاربت السربيين في كوما نوفو ومناستير بالغ في اطراء المدفعية وحسن اصابتهم للهدف . وقال شكري باشا بطل ادرنه غير مرة ان وصول ٤٠ الف سربي امام ادرنه هو الذي اضطره الى التسليم لاغير

فان كان هناك شيء ينتقد به على الجيش السربي فهو ابطاؤه في تغيير الخطط التي رسمها لنفسه حينما تقضي الضرورة بتغييرها . ففي وضع الخطط واعدادها

لا يفوقه جيش من الجيوش الاوربية حتى الجيش البروسي ولكن اركان حرب الجيش السربي لم يشفّوا عن قدرة على الابتكار والابداع في حرب البلقان الثانية عندما قضت الضرورة بتغيير الخطة الحربية . فهم لا يرتكبون خطاءً ما دامت سرعة التصور غير لازمة . ولكن يشك فيما اذا كانوا يستطيعون ان يجنوا جميع ثمار الانتصارات التي ينالونها

الفصل التاسع عشر

المعركة الفاصلة الاولى في الحرب

حملة النمسا التأديبية — ثلاثة عوامل أهملتها — تعبئة الجيش السربي — هجر السرب لعاصمتهم — محاولة النمسو يين عبور الدانوب — محاولتهم عبور نهر درينا — المدد السربي — انكسار النمسويين وخسارتهم العظيمة — تأثير انتصار السرب في خطط النمسا والمانيا — تأثيره في البلقان

لما جردت الحكومة النمسويه حملتها التأديبيه على السرب كان مآل خطتها الاصلية توجيه اربعة فيالق تقوم بحركة اكتنافيه وتكون نيش غايتها الاخيرة. فاثنان منها يعبران الدانوب عند باسياس وبلغراد . وواحد يأتي من الشمال الغربي ويعبر نهر الساف بجوار شابتس ويكون ميمنة الجيش الاكبر . وواحد يزحف من سراجيفو على فيزغراد واوشتزا ويدور حول جناح كل خط يقيمه السربيون للدفاع ويغزو نوفي بازار ليفصل بين الجبل الاسود والسرب . وفي خلال ذلك يزحف جيش مستقل قاعدته كتارو لالهاء الجبليين

وهذه الخطه صحيحه في حدّ نفسها ولكنها اهملت ثلاثة امور : الاول سرعة تعبئة الجيش السربي . والثاني صعوبة عبور الدانوب . والثالث امكان تحول

الجبليين الى الهجوم في نوفي بازار . وبينما كان النمسويون قانعين بالزحف على مهل ومحاولة عبور الانهر المذكوره بين الجد والهزل كان السربيون يعبئون جيشهم باقصى ما يمكن من السرعة ثم انهم استحضروا جيشهم الجنوبي الى نيش فامنوا بذلك على حدودهم من جهة البلغار

وفي هذه الاثناء ارسل الجبليون فصيلة من جندهم لمراقبة النمسويين في كتارو وفصيلة اقوى منها تزحف شمالاً وتتهدد فيزوغراد . فاضطر الجيش النمسوي الزاحف من البوسنه الى ارسال جيش جانبي قويّ يلاقي هذه الفصيلة ويحول دون اتصالها بالجيش السربي

اما السربيون فتركوا بلغراد عاصمتهم تحت رحمة المدفعية النمسوية وتظاهروا بالارتداد من بلانكا على نيش في حين انهم ارتدّوا حقيقة شمالاً بغرب في جهة شابتس ومن اوشتزا ارسل جيش الى اقصى حدود السرب شمالاً بغرب حيث يلتقي نهر الساف بنهر درينا

وانقضى الاسبوع الاول من اغسطس وخمسة فيالق نمسوية تبذل مجهودها في اجتياز نهري الدانوب والساف وحرس الحدود السربي يقاومها بمساعدة فصائل من جيش الدانوب وبعض طلائع الجيش الغربي . ولما لم يفلح النمسويون في عبور النهرين حاولو غزوة السرب من اورسوفا في اقصى الشرق وكانت طلائعهم مؤلفة من ثلاث اورط عدة رجالها ٣٤٠٠ رجل فانفصلت عن الجيش الاكبر ووقعت في كمين دبره السربيون لها فابادوها ولم ينج من القتل سوى ٢٥ رجلاً اخذوا اسرى

فوقع هذا النصر احسن وقع في نفوس السربيين وجاء مطيباً لقلوبهم بعد الذي نالهم من الاستياء والغمّ لان النمسويين كانوا يضربون عاصمتهم من عبر الدانوب وهم لا يحيرون جواباً فعّالاً . واستعادوا ثقتهم بقوتهم وبحسن خطة قوادهم

وبعد هذه الحادثة جعل النمسويون يبدون حركة غير معتادة على نهر درينا حد السرب الغربي ولكنهم لم يتمكنوا من عبوره . وفي ١١ اغسطس ارسلوا قوة كبيرة لاستطلاع ضفة النهر بمساعدة الطيارات على حذاء الحدود كلها من لوسنتا حتى شابتس على نهر الساف وكانت هذه القوة تستطلع تحت حماية نار شديدة من البنادق والمدافع ثم عادت ولم تظفر من عبوره بطائل . ولو ظفر النمسويون بالعبور لبات السربيون في خطر لقلة عددهم بالنسبة الى اعدائهم ولأن النمسويين يهددون حينئذ جناحيهم . وعليه قرّ قرارهم على التراجع قليلاً ريثما يتمكن الجيش الاكبر من الوصول لتعزيزهم . وكانوا يرمون بهذا التراجع الى غرضين: الواحد اتخاذ التحوطات اللازمة والآخر استدراج النمسويين اليهم

وفي ١٢ أغسطس اجتاز حرس الطليعة النمسوية نهر درينا وتقدم شرقاً وعبرت فصيلة من الفيلق النمسوي الرابع نهر الساف قرب شابتس . وفي اليوم التالي مدّت جسور من الزوارق في عدة نقط فتدفق النمسويين على ارض السرب تدفق السيل ونزل الفيلقان الرابع والتاسع عند شبانس والثامن يحمي ميمنتهما وعبر الفيلق الثالث عشر نهر درينا قرب لوسنتا تصحبه اورطة من مدفعية الجبال استعارها من الفيلق الخامس عشر

وفي ١٤ اغسطس شرع الجيش في الزحف . فزحف الفيلق الثامن على نسر . وزحف الثالث عشر في وادي نهر جادار وكل فرقة من فرقتيه على ضفة. وتهددت فرقة ثالثة واورطة المدفعية جناح الجيش السربي. وحالما اتضح للسربيين ان الجيش النمسوي الاكبر يزحف على بلادهم وان الفيلقين النمسويين الرابع والتاسع لا يزالان في شبانس يناوشان القوة السربية التي هناك ارسلوا النجدات في ١٥ اغسطس محاولين اكتناف الميسرة النمسوية . وبقي السربيون يومي ١٥ و١٦ أغسطس يقاومون هجمات الفيلق النمسوي الثالث عشر في وادي نهر جادار

صوَّر هذه الصورة مصوِّر الماني وبيَّن فيها الجنود الالمانيــة في الخنادق التي كثر ذكرها في هذه الحرب فان الجنود يحفرونها و يستترون فيها عن عيون اعدائهم وعن المقذوفات الجهنمية التي تنصب عليهم من افواه المدافع والبنادق

والصورة تمثل الحرب في الليل وقد نصبت الانوار الكهربائية الكشافة على قمة الجبل وجعلت ترسل اشعتها الى مواقع العدو ليسدد عساكر الالمان بنادقهاو ترى في منتصف الصورة ضابطاً المانياً نظارتهُ بيدهِ ليستطلع بها . وقنابل المدافع تنفجر حولهم وفوقهم

ولم يخلوا خنادقهم الا بعد ان اكتنفت فرقة نمسوية مركزهم . فتقهقروا ليلاً واعتصموا بخط آخر للدفاع قرب زفلاكا

وجاءتهم الامداد بسرعة لا تصدق وبقيت تتدفق عليهم ثلاثة ايام متوالية وتحشد لاحباط حركة النمسويين الجانبية واكتناف الجيش النمسوي الذي كان يحاول اكتنافهم . وهاجمهم الجيش النمسوي المرة بعد المرة يحاول اختراقهم وتشتيت شملهم ومنعهم من اكتنافه فاخفق كل مرة . وما مالت شمس اليوم الثامن عشر من أغسطس نحو المغيب حتى اتضح ان حركة النمسويين الهجومية آخذة في الاخفاق بعد ما نالهم من الخسارة وبعد ما عجز الفيلقان الرابع والتاسع عن ارسال النجدات اليهم من جوار شباتس . وفي ١٩ اغسطس فشلت خطة الهجوم تمام الفشل بعد ما فاز السربيون باختراق الجيش النمسوي واسقط في يد النمسويين ولا سيما انهم قطعوا كل امل في ورود النجدة اليهم وباتوا وامامهم وعلى جناحيهم عدو لم يقهر وخلفهم نهر لا يعبر . ووراء النهر بلد قومه لا يخلصون لهم ان لم نقل انهم اعداؤهم

فلا بدع والحالة هذه اذا رأينا ان تقهقرهم تحول هزيمة طلب فيها كل رجل النجاة بنفسه . والذي يعلم وعورة البلاد يعلم ان النمسويين ذاقوا من الجوع ما ذاقوا من نكال الاعداء . وظل السربيون يطاردون فلول اعدائهم حتى اوصلوا البقية الباقية من الفيلقين الثالث عشر والثامن الى نهر درينا فعبره كل طويل العمر . وقد كانت جملة النمسويين الذين عبروا النهر في ابتداء الغزوة ١٣٠ الفاً فقتل وجرح منهم نحو ٢٠ الفاً واسر نحو ٥ آلاف ومات كثيرون جوعاً وبرداً وتعباً او فرّوا هاربين الى اوطانهم . وغنم السربيون ٦٠ مدفعاً وكثيراً من «المهمات»

وكانت القوة السربية المرابطة في شباتس قد تمكنت في خلال هذه المدة من منع الفيلقين النمسويين الرابع والتاسع ان ينضمّا الى الجيش الغربي . ولكن لما

ظهر للسربيين ان انهزام الجيش النمسوي تامّ كفّوا عن مطاردته وارتدوا شمالاً بشرق على شباتس يرومون الاحداق فيها بالفيلقين المذكورين . فلما رأى القائد النمسوي ساقته مهددة نظاهر بمهاجمة السربيين هجوماً شديداً وفي خلال ذلك امر جيشه باجتياز النهر فتمكن معظمه من عبوره وخسر الهاجمون منه على السربيين خسارة عظيمة ولم يسلم الباقون من الاسر الاّ بفضل المدفعيات النمسوية الماخرة في النهر وحسن بلائها

وفي ٢٤ أغسطس اجتاز النهر آخر عسكري نمسوي عائداً الى بلاده وهو مشتت الشمل ممزق الجامعة وقد ذاق لباس الجوع والخوف وحمد الله عليهما اذ لم يذق شرّاً منهما . وبذلك انتهت الحمله «التاديبيه» التي جردتها النمسا على مملكة السرب الحقيرة الضئيله

بقي في ميدان الحرب فيلق واحد يحسب حسابه وهو الذي بدأ الاعمال الحربية في شرق السرب . فلما شرعت روسيا في غزو غاليشيا استدعت النمسا هذا الفيلق لمقاومه السيل الروسي ولكنه لم يبعد كثيراً حتى وافته انباء معركة شابتس فانقلب عائداً الى مكانه . وهذا هو الفيلق الذي واجه السربيين عند سملين في اوائل سبتمبر ولكنه تقهقر امامهم

بدأت النمسا الحرب مستخفة قوة خصمها فقسمت قواتها شيعاً واسباطاً . ومن حين خاب امل قوادها في الفتح العاجل والنصر القريب اضاعوا صوابهم ووقتهم ومجهود رجالهم في كرّات ضلّت مبدأ وساءت مصيراً لانها لم تكن ترمي الى غرض معيّن . فاغتنم الجيش السربي الفرصة وجمع نفسه في زوره تحفزاً للوثوب ثم ضرب بجميع قوته فلم يبق للنمسا جيش في تلك الارجاء . وفي اقل من شهر كان الجيش السربي المستضعف المستصغر قد كسر جيشاً اكبر منه بقليل شر كسرة وغنم نصف ميرته وذخيرته وتركه غير صالح لقتال عدة اسابيع

ولكن هذه المعركه معركة شباتس او جادار كما تسمى احياناً جاءت بنتائج اعظم مما ذكر . فانها المعركة الفاصلة الاولى في هذه الحرب العظمى .وقدكان تأثيرها الادبي عظيماً جداً اذ علمت النمسويين ان لا رجاء لهم في نجاح حتى في حرب السرب . فان السيئة التي اصابتهم اخرت التعبئة النمسوية واضطرت اركان حرب الجيشين النمسوي والالماني ان يعيدوا النظر في خططهم المدبرة والمرسومه بانعام نظر وتدقيق من زمان . وعليه استدعت النمسا فيلقين لما كانت قد انتدبتهما لمساعدة الالمان في الزاس . واصدرت الاوامر الى الفرق الاحتياطية التي وجهتها لمقاتله الروس في غاليشيا بالعودة جنوباً .وبحثت المانيا في امكان نقل جنود من البلجيك وفرنسا لتحل محل الفيلقين اللذين استدعتهما النمسا الى السرب

ولقد كانت السرب الاولى بين الحلفاء في اقامة معركه فاصلة وفي ضرب صربة قويه لتحرير اوربا من هيمنة الحزب العسكري الالماني . وان لعلة المدافع السربية التي اطلقت في شبانس سمع صداها في صوفيا فالاستانه من جهة وفي رومية نفسها عبر الادرياتيك من الجهة الاخرى . فان كانت ايطاليا قد شعرت بوخز ضميرها وتانيبه على اثر تخليها عن صاحبتيها في المحالفة الثلاثية فان انتصار السرب ازال اثر ذلك الوخز . وان كانت البلغار قد حدثت نفسها بمهاجمة السرب في ١٥ أغسطس فانها رأت في الاسبوع التالي ان الحياد هو خير ما تعتصم به في المستقبل القريب على القليل

الفصل العشرون

الحرب تحت الماء

الغواصات تضرب ضربتها الاولى—ضيق نطاقها — مقارنة بين الدول في الغواصات — اخطار الغواصات — النسافة — غرق الطراد الانكليزي باثفايندر والطراد الالماني هيلا

لعلّ اظهر مظاهر الحرب ان بعض انواع السلاح الذي يستعمل فيها لم يستعمل في حرب قبلها . فبينا نرى الطيارات والبلونات تحوم في الجوّ حوم الطير نرى سمكاً معدنياً هائلاً يغوص في اعماق البحر. وكما ان الطيارات والبلونات تحلّق في الفضاء تجنباً لمدى الرصاص كذلك الغواصات تغوص في اليمّ فراراً من مطارد يطاردها او من عين ترقبها

وقد تضاربت الاقوال قبل هذه الحرب في الدور الذي تستطيع الغواصات ان تلعبه في الحروب عملاً لا نظراً فقط . ففي المناورات الانكليزية التي اقيمت سنة ١٩١٣ جاءت الغواصات باعمال مدهشة فانها اطلقت اشباه توربيد على اهداف نصبت لها في عرض البحر فاصابت المرمى بغاية الضبط والدقة واتلفت نصف البوارج في المعركة الخيالية التي جرت في المناورات . وكانت ترى ولا ترى وتسترق الخطى حتى تبيت على مقربة من غرضها فتطلق توربيدها عليه قبلما يشعر بوجودها

وفي المعركة الخيالية المشار اليها هاجمت اربع غواصات اسطول بوارج . وكان المشاهدون يعلمون ساعة الهجوم والناحية التي ستهاجم الغواصات الاسطول منها فلم يروا من الغواصتين الاولى والثانية سوى خطين من زبد الماء ورشاشه

برسمان بسرعه على صفحة البحر بواسطة انبوبتين من النحاس هما كل ما يرى من الغواصة . وتسميان بريسكوب او «عيني» الغواصة لانهما تعكسان الاشباح التي فوق الماء الى ما تحته فيرى ملاحو الغواصة كل ما يجري على سطح الماء من غير ان يروا او يشعر بوجودهم

اما ما جرى للغواصات فهو ان سفينة من سفن المناورات صدمت عيني الاولى منهما فانحنتا وصعدت الغواصه الى سطح الماء لانها عميت ولم تعد تستطيع عملاً لفقد عينيها . واما الثانيه فاطلقت توربيدها على الباخرة نبتون ثم صعدت الى وجه الماء لتأخذ نفساً . واما الثالثه والرابعة فلم ير احد عيونهما حتى اطلقتا التوربيد على البوارج ثم ظهرتا على وجه الماء فجأة تتهاديان وتخطران خطران البطل المنتصر

وقبلما شهرت الحرب بقليل وقف السير برسي سكوت احد اميرالية الانكليز خطيباً فقال : ارى ان ادخال السفن التي تسبح تحت الماء قضى على السفن التي تجرى على سطحه . وان الغواصة تساعدها الطيارة الهوائية والطيارة المائية هي سلاح الحروب البحريه في المستقبل» . فكان لقوله هذا رنة في الدوائر البحرية ولا سيما انه هو الضابط الذي اتقن مدافع سفن الدريدنوط حتى بلغت ما هي عليه من القوه وحسن الرمايه فلقب لذلك «بابي المدافع البحرية الحديثة» . وقال غيره من المفكرين انه بينما تصمد السفن البحريه العادية الواحدة لقتال الاخرى على سطح الماء لا تعلم احد طريقه لمقاتلة الغواصات ولا الغواصات تستطيع مقاتلة الغواصات اذ لا ترى بعضها البعض الاخر . وجاء في التقويم البحري الالماني لسنة ١٩١٤ «ان الغواصة ستضطر الناس في المستقبل الى اقامة المعارك البحرية الفاصلة في عرض البحر بعيداً عن الساحل حيث لا ينفع لركوب بحر ولا لقتال الا البوارج الكبرى» . لذلك تتوقف مستقبل الحروب البحرية على جواب هذا السؤال : هل يمكن تكبير الغواصات حتى تصير صالحة لركوب اي بحر وللقتال

فيه على اي بعد من قاعدتها ؟

اما الغواصات الكبرى المعروفة الان فلها عيوب يعلمها الضباط البحريون . فانه كلما كبرت الغواصة صعبت ادارتها تحت الماء وقد تمنعها ضخامتها من الملاحة في الرقارق او المرور من تحت السفن الراسية لزيادة التمكن من مهاجمتها. وهذه المناورة تعدّ في بعض الاحيان من الزم ما يلزم . ثم انه كلما ضخمت الغواصة عسر اخفاؤها عن العيون واذا كانت الغواصة الكبيرة قريبة من سطح الماء رؤيت حركتها وسمعت . ولا بدّ للغواصات الكبرى التي تريد الهجوم من الصعود الى قرب سطح الماء لرصد العدوّ وتجسس مكانه

ولا تستطيع الغواصات ان تهاجم هجوماً فعّالاً الاّ عن كثب . فان مدى نظرها قصير لا يزيد على ميلين في بعض الحالات . ولو زاد حتى بلغ ضعفي ذلك لبقي قصيراً اذ التوربيد الذي تطلقه يقطع هذه المسافة (اي الاربعة الاميال) في اربع دقائق ونصف . فاذا كان الهدف ثابتاً فقد يصيبه التوربيد ولكنه اذا كان متحركاً يصبح اخطاؤه للمرمى كثيراً واصابته اياه نادرة جداً . فقد حسب احد الخبيرين ان الغواصات اليابانية في حرب روسيا واليابان اصابت السفن المتحركة خمس مرات فقط من ٢٥٠ مرة . ثم ان البوارج تستطيع اطلاق ستة مدافع من عيار ١٣،٥ في خلال الاربعة الاميال التي يقطعها التوربيد ولا تكاد قنابلها تطيش. فاذا لم يكن سلاح الغواصة معادلاً لسلاح البارجة في القوة والاصابة لم تتفوق عليها

فيظهر من هذا ان نفع الغواصة في الحروب الفعلية محصور ضمن حدود ضيقة. فاذا استعملت ضمنها كانت آلة رهيبة وكان فتكها ذريعاً ولا سيما اذا كانت في يدي بطل مجرّب وسائس مدرب . وقد دل شهرا الحرب الاول والثاني على فاعليتها لثلاثة مقاصد : الاول منع الاساطيل من تضييق نطاق الحصر على الثغور

المعادية او من ضرب تلك الثغور . والثاني مهاجمة السفن الراسية او المتحركة بسرعة بطيئة في المياه الضيقة كمياه البحر الشمالي. والثالث استكشاف السواحل . ويمكن الطيارات رؤية الغواصات تحت الماء والانذار بها اذا كان الماء رقارقاً والجوّ صافياً والبحر رهواً . ولكن التجارب دلّت على ان ذلك لا يعول عليه كثيراً . ويهتدى الى الغواصات ايضاً بآلة لتكبير الصوت توضع في السفن فتسمع بها اهتزازات الرقّاصات

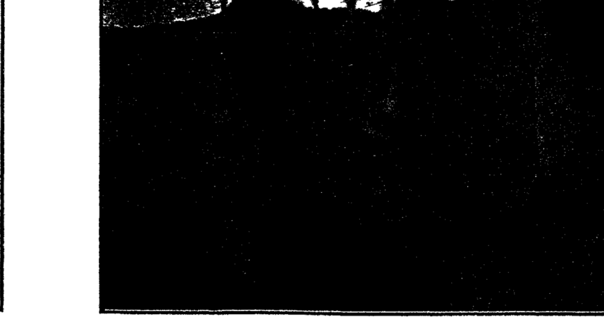
ولما شهرت الحرب كانت المانيا في مركز حسن من جهة الغواصات فانها انفقت في الخمس السنوات الاخيرة التي تقدمت الحرب ما أنفقت انكلترا على بنائها . وابدت تكتماً كثيراً فيما يتعلق بها ومع ذلك عرف ان غواصاتها ليست دون الغواصات الانكليزية في جدّة طرازها . وقد دل الاحصاء المنشور ان عند كل منهما ٢٥ غواصة من الطراز الجديد مستعدة لركوب البحر عند الاقتضاء . اما الغواصات القديمة فعند انكلترا منها ٤٥ وعند المانيا ١٠ او ١٢ . وضعف انكلترا في الغواصات الحديثة أزيل بقوة فرنسا فيها فان عند هذه منهنّ ٦٠ غواصة

ويمكن الغواصة الحديثة ان تبقى في البحر خمسة ايام من غير ان تعرّج على ميناء ما وان تبقى تحت الماء ٧٢ ساعة دفعة واحدة. وفيها جميع ما يلزم من حاجات الملاحين واسباب راحتهم مع ان طولها يبلغ ١٧٦ قدماً وفيها ٢٨ ملاّحاً عادة . اما سرعتها فنحو ١٧ ميلاً في الساعة . وتغطس في البحر بفتح بعض الابواب فيها فيدخلها الماء فتغوص . واذا كانت تحت الماء كان صوت الآلة الكهربائية التي تحركها ضعيفاً بسبب كثافة الماء فلا يتضايق الملاّحون من الصوت كما يتضايق الملاّحون في السفن الاخرى. ويجدد هواء الغواصة وهي تحت الماء بطرق صناعية وقد اقترحت عدة وسائل لتهويتها منها تطهير الهواء وتنقيته كيماوياً . ولكنهم وجدوا ان احسن الطرق هي استعمال الهواء المضغوط والمخزون في غرف خاصة

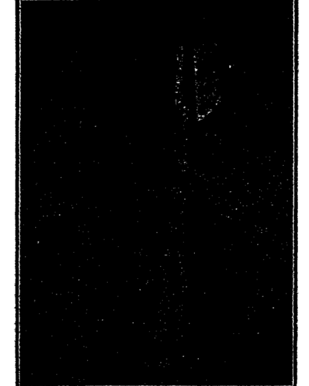
تحت ضغط الوف من الارطال على كل بوصة مربعة . ولكن الغواصة نفسها تسع هواءً يكفي لتنفس الملاحين يوماً كاملاً .

اما الحاسة الوحيدة التي تعدمها الغواصة فهي البصر . فانها أذا غاصت الى ١٢ قدماً فما تحت امست عمياء لا ترى شيئاً . فلذلك اخترعوا لها البريسكوب وهولها بمثابة العين للانسان . وكان اول بريسكوب صنعوه مؤلفاً من انبوبة قصيرة في راسها منشور عاكس يعكس الاشعة الافقية الى داخل الانبوبة فتقع على بؤرة مقابلة لزجاجة يضع الناظر عينه عليها فيرى الاشباح جلية. وقد عدلوا عن استعمال الزجاجة وهم يلقون الاشعة الان على قطعة ورق موضوعة في غرفة مظلمة على مثال غرفة التصوير الشمسي فيرى الناظر صور الاشباح التي فوق الماء مبسوطة امامه عند دفة الغواصة . وهذه الغرفة المظلمة ترى من كل جهةوبذلك يستطيع ضباط الغواصة ان يدوروا حيثما شاؤوا وهم يرون امامهم صور الاشباح التي فوق الماء ويعرفون مكان غواصتهم منها وبعدها عنها

والغواصات معرضة لاخطار شتى اعظمها الاصطدام.ومنها انفجار غاز البترول ولكن اخطار الانفجار زالت بعد استخدام آلات تحرق زيتاً اكثف من البترول في الغواصات الحديثة . وكثيراً ما تفقد الغواصة موازنتها فتغطس في الماء باقل من لمح البصر وتغوص الى قعر البحر بمن فيها . حدث في سنة ١٩١٠ ان غواصة يابانية كانت تتمرن فغرقت قبلما تمكن بحارتها من اغلاق ابوابها منعاً للماء من دخولها . ولما انتشلت وجدوا فيها كتاباً كتبه قائدها يصف فيه ما جرى لهم من حين غرقها الى ان ادركه الموت . ولما هبطت في قلب اليم انطفأت الانوار الكهربائية ولكن جاءها شعاع ضئيل من النور بطريق نوافذ برجها . وبذل الملاحون جهدهم في تفريغ الماء منها بالطلمبات فلم يفلحوا . غرقت الغواصة الساعة ١٠ صباحاً فكتب القائد الساعة ١١ والدقيقة ٤٥ يقول :



هـذه الصورة تبين كيف يلقي الطيارون
القنابل من طياراتهم



صورة قنبلة من التي يلقيها الطيارون
من طياراتهم

«تبللت ثيابنا بالماء الذي نفذ الغرف ونحن نشعر الان ببرد» وفي الساعة ١٢ انقطعت الطلمبة عن العمل . وختم القائد كتابه بقوله : ان جميع الملاحين الذين معي قاموا بالواجب عليهم وهذا ما يسرني ولقد طالما توقعت الموت . وانا التمس من جلالته بكل خشوع ان لا تترك عائلة من عائلات الذين معي بلا مساعدة . يزداد ضغط الجوّ شيئاً فشيئاً وانا اشعر كأن طبلتي اذني تكادان تنشقان . س ١٢ وق ٣٠ : التنفّس عسر علينا . اريد بذلك انني اتنفس غاز البترول وهو يخنقني . س ١٢ وق ٤٠»

والنسافات آفه الغواصات . فاذا شعرت نسافة بوجود غواصة للعدو تحت الماء نبتت فوقها حتى تضطر الغواصة اخيراً ان تصعد الى سطح الماء لتجديد الهواء فتقبض عليها . وللغواصة سائسان احدهما لادارة دفة الهبوط والصعود والاخر لادارة الدفة العادية. وسلاحها التوربيد. ففي الغواصة الواحدة أربعة توربيدات الى ثمانية . وطول التوربيد عادة ١٧ قدماً وقطره ٢١ بوصه ويحنى قطن البارود او غيره من المواد القابلة الانفجار . ونقل «الدكه» ٣٣٠ رطلاً . والتوربيد يستطيع ان يقطع نحو ٤ اميال ونصف بسرعة ٣٥ ميلاً في الساعة . وليس التوربيد قذيفة كالقنبلة تدفع بقوة خارجية بل هو في الحقيقه سفينة صغيرة تدفعها على السير في الماء آلات منها وفيها . ولا تحتاج الغواصة في اطلاق التوربيد ان تطفو على سطح الماء بل يكفيها لاطلاقه ان ترى الهدف بواسطة عينيها

والتوربيد مؤلف من ثماني غرف هي كما يأتي مبتدئين من الراس : غرفة الكبسول . البارود . الهواء المضغوط لتحريك الرفاص . الموازنة . الالة المحركة. العوم . الدفّه . الرفاس . ولما كان التوربيد يسيّر نفسه في الماء كما تقدم فهو لا يحتاج عند اطلاقه الى دافع شديد كقنبلة المدفع

***

بعد اعلان الحرب بثلاث ساعات غادرت غواصتان انكليزيتان ثغر هارتش على ساحل انكلترا الشرقي لاستكشاف مركز الالمان في خليج هليغولند . ففحصتا دائرة الالغام والسفن الالمانية التي كانت راسية تجاه هليغولند وعادتا بمعلومات مفيدة . ولم يمضِ على هذا الاستكشاف الا القليل حتى قام بعض الغواصات باول هجوم بحري في هذه الحرب . وكان هذا البعض المانياً

وتفصيل هذا الاجمال ان الطراد برمنهام الانكليزي كان يجوب البحر مستطلعاً على بعد ١٦٠ ميلاً من الساحل الالماني تصحبه طرادات اخرى خفيفة . واذا الرقيب يرى عن بعد عيني غواصة فغيّر مجرى الطراد حالاً لتكون مقدمته متجهة نحو الغواصة فلا يستهدف لها . وكان رجال المدافع واقفين بجانب مدافعهم وقد قضوا طول ليلهم على تلك الحال . فصاح النفير فهبّ كل رجل الى مكان عمله وصعد الضباط الى الظهر وهم لابسو ملابس النوم . وفي اثناء ذلك كانت مدافع الطراد تدوي والقنابل تتناثر في كل جهه حول عيني الغواصة . ثم حمل الطراد عليها فصدمها وشقها ولم يمكن انقاذ احد من رجالها لانها امتلأت ماء وغرقت للحال بمن فيها وعددهم ٢٣ رجلاً

واتخذت البحرية الانكليزية تحوطاً خاصاً لشلّ يد الاسطول الالماني مدة نقل الحملة الانكليزية الى فرنسا . فوجهت نسافتين سربعتين الى الساحل الالماني يصحبهما ١٧ غواصة . ولما بلغت المياه الالمانية احتلت كلها مراكز تستطيع منها مهاجمة الاسطول الالماني الاكبر فيما اذا خرج من مرساه لقطع الطريق على النقالات الانكليزية المقلة للحملة . وبقيت في مكانها ليل نهار حتى تمّ نقل الحملة وتوابعها وزال كل خوف من تعرّض الاسطول الالمانيّ لها

وبعد نزول الحملة الى بر فرنسا بقيت الغواصات تستطلع تجاه السواحل الالمانية وحملتها الجراءة على الدنوّ من مداخل المرافىء الالمانية ومصاب الانهر . ولكن

الالمان كانوا قد احتاطوا لحماية بوارجهم من هجوم الغواصات اذ رست وراء حوائل من سدود الخشب والزناجير والشباك والالغام وصفوف السفن القديمة التي لا فائدة منها. ثم ان شكل الساحل الالماني الطبيعي لا يلائم هجوم الغواصات عليه لكثرة الماء الرفارف فيه. ومع ذلك لم تكف الغواصات عن مراقبة الاسطول الالماني وكانت تهاجم على الدوام بالتوربيد والمدافع فلم تلحق بها اذى . قص ضابط انكليزي ما جرى لغواصته في بعض كراتها على الساحل الالماني قال:

«شعر الاعداء بوجود غواصتنا فرأينا من السلامة ان نغوص تحت الماء وبقينا هنالك بضع ساعات ثم صعدنا الى السطح بحذر واحتراس ولكننا رأينا من الحكمة ان نمكث حيث كنا ولا نجازف بالفرار حينئذ . فغصنا الى القعر ثانية ولعبنا لعبة «البريدج» فربحت خمسة شلينات الا نصف بنسة» . ! !

على ان الغواصات الالمانية لم تقف مكنوفة الايدي بل كانت تخرج للاستطلاع وتبعد كثيراً حتى لم يبق ثغر من ثغور اسكتلندا الا زارته غير مرة . حدث ملاح الماني كان في احدى الغواصات الالمانية في بعض تلك الزيارات قال :

«سار اسطول الغواصات ذات مرة حتى بات على قيد ١٥٠٠ يرد من الاسطول الانكليزي الاكبر . وكنت انا ورجال غواصتنا نعزف على آلة موسيقية ونغني بعض الاغاني . ولكن اعداءنا لم يسمعونا طبعاً . فوصوصنا من عيني الغواصة فشاهدنا السفن الانكليزية كقطيع حملان رابضة لا توجس شراً كأن ليس ثمة ذئاب المانية في جلود حملان . وبقينا حيث كنا تحت الماء ساعتين . وكان في وسعنا تدمير طراد كبير ولكننا لم نفعل لاننا خرجنا «للدورية» وكان علينا قضاء شؤون اخرى . وليست العيشة في الغواصة مما يحسد الرجل عليه اذ هي اشبه الاشياء بالجوزة التي لم تكسر . فان الهواء الذي نتنفسه لا يقارن بنسيم الصباح على رؤوس الهضاب بل هو بترول في بترول . ولا تصدر في الغواصة اوامر كأننا

صمّ بكم . فان الضباط يتحدثون بالاشارات بايديهم وارجلهم ويسمعون بعيونهم » . انتهى

واخيراً ظفرت احدى هذه الغواصات الالمانية بفريسة في الخامس من سبتمبر. فان الطراد الانكليزي «باثفايندر» كان يمخر على بعد ١٥ ميلاً من مصب نهر «فورث» في اسكتلندا واذا بانفجار حدث في مقدمه فغرق حالاً . وكانت الساعة الرابعة وهي ساعة تناول الشاي في البحرية . ولم ير احد في الطراد علامة ما تنذر بالخطر . بل كان اول دليل دلهم على وجود غواصات اعدائهم هناك ظهور عيني غواصة على مقربة من الطراد . ولم يعلم هل العينان عينا غواصة واحدة او اكثر . ولما رأى بعض ملاحي الطراد عيني الغواصة صدرت الاوامر على عجل فاخذ الطراد يدور ليواجه الغواصة فاصيب اذ ذاك بتوربيد نسف مخزن الذخيرة في مقدمه . وعرته هزة من طرف الى طرف واحدق به سور من دخان ونار . وتساقطت شظايا كبيرة على الضباط والملاّحين الذين كانوا على الظهر فقتلت كثيرين منهم . وانطرح آخرون على الارض مغمى عليهم من هول الصدمة والدم يسيل منهم . واخذ الطراد يغرق حالاً

ولكن الضباط والملاّحين الذين بقوا احياءً بقوا رابطي الجأش فصدرت الاوامر بالقاء كل ما في الطراد من اثاث ورياش الى البحر لتساعدهم على النجاة لأن القاربين اللذين كانا في الطراد تحطما واخيراً صدر الامر: «لينج بنفسه من استطاع». قال احد الناجين :

«لمحت بريقاً ثم ظهر لي ان الطراد ارتفع برمته من الماء وانفصل عنه مقدمه بما فيه من الساري والمدخنة الامامين وسقط في البحر بعد ما تمزق اي ممزق من هول الانفجار . فتسورت الى الظهر لعلي اعثر على شيء اتمسك به. فصاح الضابط الربان «الى القوارب» . ولكن لم يكن هناك سوى قاربين محطمين . اما بقية

القوارب فتركت في البرّ . فاطلقنا مدفعاً علامة الاستغاثة وكان الماء قد غطّى الطراد كله تقريباً . فخلعت حذائي ونزعت عني ملابسي والقيت بنفسي في اليمّ وانا اسبح بكل قوتي خشية ان يجرني الطراد معه عند غرقه . وكنت قد صرت على بعد ٥٠ يرداً منه فالتفت ورائي واذا بهِ قد غار في الماء ولما غرق انفجر فيه سيء فاقبلت منه موجة كبيرة جرفتني وما حولي فدرنا كما تدور الدوّامة حتى وقعت بين يدي عوّامة فتشبثت بها وكانت سبب نجاتي . وكانت المدة التي انقضت بين اول الانفجار وغرق الطراد خمس دقائق لا غير

وكان الانفجار شديداً حتى لقد يقال ان سفينة صيد شعرت بهِ عن بعد عشرة اميال . وقد غرق الطرادوهو قريبمن الساحلواتفق ان كثيرين كانوا يرقبونه. فاسرعت الى مكان الحادثة بعض زوارق بخارية فرأت وجه البحر على مسافة ميل ملآن اشياء شتى مما كان في الطراد من امتعة الملاحين واوراق وصور وكتب وقبعات وغير ذلك . فانقذ ٥٨ ضابطاً وملاّحاً وكان بعضهم مجروحاً جروحاًبالغة فمات اربعة منهم في الطريق الى اليابسة . وبلغ عدد الذين ماتوا ٢٤٦ ضابطاً وملاحاً . وكان هذا الطراد اول سفينة اغرقت بفعل غواصة في تاريخ الحروب البحرية

وفي اليوم التالي لغرقه صدر تقرير رسمي يقول ان الطراد باثفايندر مسّ لغماً فغرق . وبعد ذلك بايام اعلنت الحكومة في مجلس النواب «ان هناك ما يحمل على الظن ان غواصة اغرقت الطراد . وان وزارة البحرية كانت تحذر ان يشيع الخبر الصحيح فيحول ذلك دون المساعي التي كانت تبذلها للقبض على الغواصة وتدميرها» . ثم اعلن الخبر الصحيح من برلين ايضاً . وكان على الغواصة ان تقطع ٤٠٠ ميل لتعود الى المياه الالمانية واملت وزارة البحرية أن غواصاتها وطراداتها تتمكن من قطع الطريق عليها ولكنها تملصت من كل ما بثّ عليها من العيون

والارصاد مع انه صدر الامر الى اسطول بالتنقيب عنها في كل جهة . والظاهر انها غطست الى قعر الماء واجتازت النطاق المضروب حولها آمنة . واشاعت الصحف الانكليزية انها اغرقت ولكنها اشاعة لم تبن على اساس يعول عليه

وبعد هذه الحادثة باسبوع ثأرت غواصة انكليزية لاخيها الطراد.وحكاية ذلك انها كانت تقوم «بدورية» ترقب فيها اسطول النسافات الالمانية التي قيل انها ستهاجم الاسطول الانكليزي على غرة فبصرت بالطراد الالماني هيلا قريباً منها فاطلقت عليه توربيدين بين الواحد والاخر ١٥ ثانية فاصابه احدهما واخذ يغرق حالاً . وكان بالقرب منه سفن المانية اخرى فلذلك لم تصعد الغواصة الى سطح الماء لترى ماذا جرى له خشية ان يهتدى لها . بل جرت تحت الماء مدة ربع ساعة ثم صعدت الى مكان غير المكان الذي اطلقت التوربيد منه فرأت ان الطراد الالماني مال على احد جنبيه ولكنها عادت فغطست لما رأت النسافات الالمانية تبحث عنها. ثم صعدت ثانية تستطلع ما جرى فلم تر الطراد لانه كان قد غرق . وكانت السفن الالمانية الاخرى قد انقذت ركابه وعددهم ١٩١ الا ستة منهم غرقوا

الفصل الحادي والعشرون

الالمان في بروكسل

تضامن البلجيكيين — رواج سوق الاراجيف — الحقيقة الناصعة — تأخر الانكليز والفرنسويين — دخول الالمان بروكسل — رفع الراية الالمانية عليها — معاملتها معاملة مدينة المانية

لما رفض ملك البلجيك ان يأذن للجيش الالماني في المرور ببلاده عفواً بلا تعب ولا نصب انتقد كثيرون في البلجيك عامه وفي بروكسل خاصة رفضه هذا وقالوا ان الذي اشار به على الملك لهو مشير سوء . وذلك لأن الجميع عرفوا ان

الرفض سيجر حرباً لا تريدها البلجيك اذ لا تربح منها شيئاً وتخسر كل شيء .
وعرف اهل بروكسل بوجه خاص ان الحرب قد تكون مصيبه طامة عليهم لأن مدينتهم التي تعد عروس المدائن في شمال اوربا ومقصف طالبي القصف في تلك الارجاء انما تبعد عن الحدود الالمانية نحو ١٢٠ ميلاً ولا يحمي الطريق الى ابوابها الا حصن واحد ذو شأن يذكر وهو لياج . وكان كثيرون يرتابون في قدرة لياج على المقاومة والثبات اكثر من يومين امام الهجوم الشديد

وعرفوا كذلك ان الجيش الصغير الذي يمكن حشده بين لياج وبروكسل يستطيع الالمان ان يحشدوا للقائه عشرة اضعافه او عشرين ضعفاً اذا اقتضى الحال. فاذا انتصر الالمان حالاً عاد انتصارهم بالخسارة الهائلة والويلات على البلاد . واذا خذل الحلفاء في اوائل الحرب عاد خذلانهم بالخراب على البلجيك واهلها وتحمل البلجيكيون مصائب الحرب كلها لان حرب الامم تقام في ارضهم كما في القرون الخالية

على ان الامر الذي ادهش العالمين ليس تردد بعض البلجيكيين وتخاذلهم في الموطن الخشن بل تأييد جمهور الامة للحكومة في عزمها على المقاومة تأييداً سداه ولحمته الحمية والحزم والتلبية العاجلة . ولما بدأت الحرب كانت بروكسل لا تزال تؤمل انها تسلم من شرورها وتكفى مصاب الاحتلال العسكري الاجنبي . ذلك بان الحلفاء يهبون لانجادها وخيالة الفرنسويين يملأون وادي نهر اردان فيؤلفون حجاباً كثيفاً لا يطيق الاعداء اختراقه . والانكليز ينزلون حملتهم على السواحل كما صنعوا منذ قرن . فتنجو بروكسل بذلك

شهرت الحرب ولبّى اهل العاصمة النداء احسن تلبية. واعطت العائلات افلاذ اكبادها لخدمة الوطن طواعية . وتناست احزاب البرلمان اسباب الخلاف التي بينها . ومرّت بالمدينة الجيوش البلجيكية قاصدة ميدان الحرب. وحولت القصور

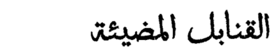
والابنية العمومية مستشفيات للجرحى والمرضى .ولما مرّت الايام ولم ير للالمان اثر اقلع المتطيرون عن تشاؤمهم الاول واصبحوا اميل الى التيمّن ولا سيما ان لياج ثبتت على الدفاع ووادي الموز صد كرّات الاعداء . وكان الضباط الفرنسويون يرون في اسواق المدينة وهم طليعة الجيش الفرنسوي العظيم الذي كانت الامة تترقب قدومه وترجّيه

ثم جاءت انباء بزحف فرسان الالمان مجتازين لياج فقيل ان ليس هناك سوى مناوشات لا شأن لها بين طلائع الاوهلان وطلائع فرسان الحلفاء.وكانت الصحف تنشر كل يوم حكايات النصر من مثل وقوع بعض الاوهلان في كمين وصدّ هذا الجيش الالماني او ذاك بخسارة هائلة وزحف الجنود البلجيكية منتصرة واستيلاء الرعب على صفوف الاعداء وما اشبه هذه الروايات . فسرّي عن الناس بعض الشيء.ولكن كان هناك شاغل عظيم لا يزال يشغل خاطرهم ويقلق بالهم وهو امر الجيوش الفرنسوية والانكليزية . فاين الاولون ؟ واين الثانون . وقد روت الصحف ان جيشاً انكليزياً نزل على الساحل الشمالي وان النقالات الانكليزية انزلت الوفاً مؤلفة من الجند في ثغري زيبروج واوستند منذ ٨ اغسطس . هكذا قالت الصحف فاين ذلك الجيش العرمرم ؟

وفي ١٥ اغسطس نشرت احدى صحف بروكسل المشهورة نبأ صغيراً قالت فيه انه لا يبعد ان يزحف الالمان على بروكسل وعلى انفرس معاً . فوقع هذا النبأ على القوم وقوع الصاعقة ولكن الجريدة اكرهت في اليوم التالي على نشر تكذيب كبير باحرف غليظة والوعد بان لا تنشر في المستقبل شيئاً عن حركات الجنود الا البلاغات الرسمية . قالت في تكذيبها : كذب رسمياً وبطريقة باتّة ما نشرناه عن زحف الالمان على انفرس وبروكسل» . ومن ذلك الحين أمّنت الصحف على اقوال الحكومة من ان جميع الامور سائرة على غاية المرام . ووضعت تحت المراقبة لا تنشر الا ما توحي به الحكومة . وكانت تصدر في بادىء الامر طبعتين في

القنابل المضيئة

ما سمعنا بحرب جمعت من الاختراعات الجهنمية كهذه الحرب علم الالمان ان اعداءهم يحضرون الذخيرة والميرة لجنودهم تحت جنح الظلام اذا تعذر عليهم احضارهُ اليهم نهاراً فاخترعوا لمنع ذلك مدافع تطلق قنابل في جوفها قماش مطوي يتدلى منه قطع من معدن المغنيسيوم الذي يشعل فيضيء كالشمس في الظلام فعند اطلاق المدفع وانفجار القنبلة يخرج القماش منها و ينتشر كالمظلة في الجو وتشتعل قطع المغنيسيوم المدلاة منها فتنير الارض تحتها هنيهة من الزمان حتى تسقط تلك الشمسية الى الارض . فيرى الالمان حينئذٍ ما على الارض التي انيرت و يطلقون مدافعهم عليهِ . ترى في هذه الصورة رسم المدفع والشمسية والضوء المنتشر تحتها



اليوم فلم يسمح لها فيا بعد الا باصدار طبعة واحدة . وهذه تعرض قبل النشر على المراقب فيمحو منها ما يشاء ويثبت ما يشاء . وكثيراً ما كانت الصحف تصدر وفيها انهر بيضاء تنمّ على يد المراقب

ثم جعل الفارّون يفدون على بروكسل وهم يروون ما رأوا وما سمعوا عن فظائع الالمان . وفي ١٧ أغسطس أذيع رسمياً ان الاسرة المالكة ستبرح العاصمة الى انفرس ما عدا الملك وان الحكومة ستنقل اليها ايضاً . واكدت الحكومة ان هذا النقل لا يفيد ان الاعداء يتقدمون ولكنّ الناس ادركوا الحقيقة مما رأوا في تأكيد الحكومه من التكلّف . وفي١٨أغسطس جعل الاضطراب يبدو على المدينة رغم اعلان الحكومة الرسمي وقولها ان كل شيء يجري طبق المرام . وقال الناس في انفسهم : ان كان الامر كذلك فلمَ تنشر الحكومة الاعلانات تأمرنا فيها باخذ سلاحنا الى البوليس خشيه ان يقتلنا الغزاه ؟ وما معنى ما نرى من الاستحكامات والخنادق الهائله التي تقام وتحفر في كل مكان ؟ ولِمَ يمرنّ الحرس المدني على الدوام ؟ هل تصوّر عاقل ان هذا الحرس يستطيع مقاومة الالمان ؟ . فلا بد ان يكون لتسليحهم معنى آخر»

وفي غد اليوم التالي رأت المدينه حقيقة الحال ناصعة وسخر الناس جهاراً باعلان الحكومة القائل «ان الحاله حسنة وان الالمان لا يزالون في عبر نهر الموز» . وعلقت الحكومه قائمه الانتصارات المعناده على الالمان ولكن في اليوم الذي علقت فيه هذه القائمة اقبل على المدينة الوف من الناس الفارّين من القرى والمدن عينها التي قيل ان الانتصارات حدثت فيها . وهؤلاء الناس رووا اموراً غير ما روت الحكومه . قالوا انهم رأوا بعيون رؤوسهم الجنود البلجيكية تهزم والبيوت تحرق وكثيراً من سكان القرى والمدن تقتلون . وان الالمان على الابواب ولا يمضي الاّ القليل حتى يبلغوا العاصمة نفسها

ولكن ساد الاذهان الاعتقاد بان الحملة الانكليزية لا بدّ ان تصل ولو في آخر ساعة وتطرد الالمان من البلاد . ثم تداول الناس في غد ذلك اليوم اشاعة بان الجيوش الانكليزية تتدفق على «جار دونور» الميدان الكبير في المدينة . فاقبلوا اليه من كل جانب لتحية الجنود القادمة لانقاذهم فلم يروا غير جرحى جنودهم يؤتى بها الى المحطة لتنقل الى انفرس في اول قطار . فاستولى الذعر على القلوب وقصد القوم المحطات وركبوا القطارات هاربين الى هولندا . وبعضهم سافر اليها سعياً على الاقدام

وكانت الجنود البروسية في خلال ذلك قد دخلت بلدة تيرلمون في مساء ١٨ اغسطس والقطارات قد انقطعت عن السير فيما وراء لوفان . واخذ اهل لوفان يفرّون الى بروكسل شمالاً حسبان انها البلد الامين في حين ان اهلها يفرون منها شمالا الى هولندا ولا يطمئنون اليها . وكان الامر قد صدر بتقهقر الجيش كله ووجوب ترك لوفان وفتح بروكسل في وجوه الغزاة يحتلونها بلا مقاومة . فتقهقر الجيش البلجيكي بانتظام وكان يحمي تقهقره لواآن مختلطان ذاقا النكال من بنادق الالمان ومدافعهم . اما لوفان فبقي فيها كثير من اهلها واثقين بان شهرة مدينتهم في آثارها القديمة وتاريخها المجيد وكونها مدينة علم يؤمها الناس من كل ناحية للدرس في جامعاتها ـ يكونان تميمة لها تدفع عنها الضيم وشر العين . وقالوا في انفسهم ان الالمان قد يحرقون القرى والمدائن ولكن لوفان اشرف بقعة في البلجيك لا ينالها اذى

لم ينم اهل بروكسل تلك الليلة . وفي صباح اليوم التالي نادى المنادون في الاسواق حيّ على الرحيل ان الالمان قادمون . وكان الحرس المدني قد مروا في المدينة ليلاً وخرجوا من الجهة الاخرى قاصدين انفرس لان بروكسل قررت

التسليم بلا مقاومة لتنجو من مدافع الالمان .وعلق محافظها على الجدران الاعلان الآتي :

«اخواني اهل هذه المدينة ـ على رغم استبسال جنودنا في المقاومة تؤيدهم جيوش حلفائنا يخشى ان يحتل الاعداء هذه المدينة . فاذا كان ما نخشى ان يكون فاني اعتمد على رزانة السكان ورباطة جأشهم . فلا نضيّع صوابنا ولا نستسلم للهلع . فان رجال الحكومة المحلية لا يتركون اماكنهم بل يستمرون على قضاء واجباتهم بثبات وعزم

ولا حاجة بي ان اذكر مواطنيّ واجباتهم نحو بلدهم . فان قوانين الحرب تمنع الاعداء ان يستخدموا القوة لاكراه اهل المدينة على اعطائهم اخباراً عن الجيش الوطني ومعداته الدفاعية . فاعلموا انكم برفضكم اعطاء العدوّ مثل هذه الاخبار لا تتعدون دائرة حقوقكم . ولا تقعدوا مقعد الادلاء لاعدائكم فان رفضكم ان تكونوا ادلاء لهم لا غنى عنه لمصلحة بلادكم

واحذروا الجواسيس وعمّال السوء الاجانب الذين يحاولون تسقط الاخبار منكم او ايقاظ فتنة نائمة او اي شكل من المظاهرة بينكم.ولا يجوز للعدو شرعاً ان يعتدي على شرف العائلات او حياة الافراد او الاملاك الخاصة او المعتقدات الدينية والفلسفية او ان ينعرض لحرية العبادة واقامة الصلوات العامة

وكل ما يرتكبه الغزاة يجب عرض امره عليّ . فاني احمي بجميع قوتي حقوق مواطني وشرفهم ما دمت اتمتع بالحياة والحرية.فاتوسل الى السكان ان يساعدوني في مهمتي هذه بالامتناع عن كل عمل عدائي وعن استخدام ايّ سلاح وعن الاشتراك في القتال او المناقشات

ومهما يحدث اصغوا الى محافظكم وثقوا به انه لايخونكم.فلتعش البلجيك حرة مستقلة . ولتعش بروكسل»

وخرج المحافظ لاستقبال القائد الالماني يصحبه اربعة من معاونيه.فاساء القائد استقبالهم اذا امر المحافظ بادىء ذي بدءبان ينزع حلته الرسمية ثم سأله:هل انت مستعد لتسليم المدينة بلاشرط؟فان كنت لاتفعل ضربناها بالمدافع.واننا نلقي عليك تبعة الحكومة والامن فيها . فيجب أن لا تقاق راحة جنودنا وان يؤذن لهم في المرور بالمدينة ويعطوا كل ما يسألون».فلم يسع المحافظ الا الاذعان . وكان الالمان قد قرروا دخول المدينة دخول الجيش المنصور.وقرارهم هذا قد يؤذيهم من الوجهة العسكرية التي تقتضي تجاهلهم للمدينه واجتيازهم اياها من غير ان يعرجوا عليها اكتساباً للوقت . ولكنهم ادركوا ان دخولهم المدينة بالابهة والفخفخة يقع احسن وقع في نفوس قومهم وسائر الاقوام خارج بلادهم . وقد بلغ منهم الدهاء انهم لم يدخلوا بروكسل بالجنود التي قاتلت في لياج بل بفيلق جديد لم يشترك في قتال ليكون دخولهم اوقع في قلوب الرائين من اهلها . وما كادت الجنود تطأ مداخل المدينة حتى اطلقت المدافع الكبيرة وصدحت الموسيقات واخذت الجنود تتغنى بالاغاني الوطنية

وكانوا قد جاؤوا بضابطين بلجيكيين وربطوهما بركاب بعض الفرسان وسيروهما في الموكب مبالغة في الاهانة والاذلال . فاستاء الناس من هذا المنظر وابدوا استياءهم منه بدمدمة واطئة . لكن ضباط الالمان استحثوا جيادهم الى صفوف الناظرين وتوعدوهم بسيوفهم المسلولة فوق رؤوسهم . وابلغ من هذه الاهانة انهم حملوا في الموكب دباً صغيراً كانوا قد البسوه ملابس جنرال بلجيكي يرمزون بذلك الى ملك البلجيك . وكان الدبّ يرفع يده الى قبعته العسكرية بين وقت وآخر مسلّماً على مروّضه . فكان لهذا المنظر اسوأ وقع في عيون البلجيكيين ولكنهم امتنعوا عن المجاهرة بشعورهم ونعم ما فعلوا

وما عتّم الالمان ان وضعوا ايديهم على سكك الحديد ومكاتب التلغرافات

والتلفونات ورفعوا الراية الالمانيه على المحافظة . وضربوا حول العاصمة نطاقاً من الجند واستولوا على القرى المحيطة بها . وعين الكونت فون ارنيم حاكماً لها فنشر منشوراً اعرب فبه عن امله ان تجري الامور في مجراها العادي وانذر بالعقاب الشديد كل من يطلق النار على الجنود او يتعرض لمواصلات الجيش . وقد كان سلوك الالمان في بروكسل حسناً جداً بخلاف سلوكهم في قرى الاقاليم فان الجنود كانت تدفع ثمن ما تبتاعه ذهباً وفضة بسخاء. وكان يسمح لكل جندي بان يأخذ قدر ما يشاء من السيجارات الكبيرة . ويغلب على الظن انهم كانوا يقصدون بمظاهرات البذخ والترف هذه ان يشعروا اهل بروكسل بقوة المانيا ورفاهها

وبعد مرور الموكب بعدة ساعات ابلغ قائد الجيش محافظ العاصمة انهم فرضوا على مدينته غرامة قدرها ثمانية ملايين جنيه . وكانوا قد فرضوا على لياج غرامة صغيرة تناسب حالها . وسلوكهم هذا يطابق التقاليد التي جروا عليها في حرب فرنسا وبروسيا فهاجت حينئذ دهشة العالم وسخطه . فاجابهم المحافظ بانه ارسل جميع ما كان عنده من المال الى انفرس . فتهددوه فقال ان لا بد له من انتظار مجرى الاحوال . ثم دفعوا ثمن ما اشتروه للجيش اوراقاً مالية اصدرها الحاكم . وما هي الا ايام حتى اعلنوا عزمهم على عد البلجيك المانية . فغيروا حساب الوقت في بروكسل وحولوه من قياس جرينتش الانكليزي الى قياس الوقت المتبع في المانيا . واعدوا العدد لانشاء حكومة المانية جديدة

الفصل الثاني والعشرون

غزو الروس لبروسيا الشرقية

تعبئة الجيش الروسي – امل الالمان بنصر عاجل في الغرب – تطبيق الخطط الروسية على مقتضيات الحالة في الميدان الغربي – غزوة روسيا لغاليشيا و بروسيا الشرقية – الجنرال رننكامب – تحصين بروسيا الشرقية – حول جمبنن – اخلاء الالمان لبلدتي تلست وانستبرج – استمرار الروس على الزحف – اكتساحهم لبروسيا الشرقية – الجنرال فون هندنبرج – مستنقعات الحدود – معركة تننبرج – انتصار الالمان

– – •• – –

بدأت تعبئة الجيوش الروسية في ٢٥ يوليو وانتهت في ٢٤ اغسطس فاستمرت لذلك شهراً كاملاً ولكن حشد الجيوش على حدود روسيا الاوربية لم يكن قد تمّ في ذلك التاريخ . فان سلطنة مترامية الاطراف كالسلطنة الروسية بسككها الحديدية المتأخرة لا تستطيع جمع اشتات قواتها الاّ الهويناء . وكانت خطّة المانيا الحربية قد بنيت على تأميل ان روسيا لا تكون مستعدة لخوض ميدان القتال الا بعد ان يكون الجيش الالماني قد اجتاح فرنسا واهلك جيشها فتنقل الفيالق الالمانية على عجل من الغرب الى الشرق للقاء الجحافل الروسية

على ان هذا الامل خاب بفضل مقاومة البلجيك ووقوف الجيوش الفرنسوية والانكليزية في وجه الجيوش الالمانية . نعم ان فرنسا قهرت في اوائل الحرب ولكنها لم تسحق ولم تأت اوائل شهر سبتمبر حتى اوقف الالمان عند حدّهم . وقد ساعدت روسيا ايضاً على الحاق الفشل بالخطة الالمانية اذ اكرهت الالمان على رفع بعض الضغط عن فرنسا كما سيجيء بيانه

كان اركان حرب الجيش الالماني قد رسموا خططهم بناءً على ان الجيش الروسي

لا يستطيع التعرض لسير القتال تعرضاً يذكر الا بعد انقضاء الشهر الاول من الحرب . فلو ان روسيا عملت بمقتضى الاسباب العسكرية التي تفرضها مصلحتها الشخصية دون غيرها لما تعرضت لقتال ما ولجاء حدس الالمان مطابقاً للواقع.فان اصدق خطة يتبعها الجيش الروسي هي ان يتم التعبئة على مهل وراء حصون الحدود وحذاء وادي فستولا الاوسط ثم يزحف على طول خط الحدود بجنود تفوق جنود اعدائهم عدداً في كل موضع . ولكن اتمام حشد جيش عدته اربعة ملايين او خمسة يقتضي اسابيع كثيرة ان لم نقل شهوراً فتتمكن المانيا في خلال تلك المدة من توجيه جميع قوتها على فرنسا . وعليه قرر الروس محافظة على روح المحالفة الثنائية ان يجازفوا بجيوشهم مجازفة كبيرة ويبدأوا بمهاجمة النمسا والمانيا معاً قبل اكمال تعبئتهم

وانما مكّنهم من اتباع خطة الهجوم ان ثلثي جيشهم الاوربي أقاما في السنوات الاخيرة غربي موسكو وان بضعة فيالق من جيش الحدود كانت دائماً على قدم الحرب . فلذلك استطاعوا حشد قوة كبيرة للقتال في نصف الشهر الاول من الحرب واستخدموا فصائل الحدود في الاسبوع الاول لمضايقة اعدائهم . ولم يأت الاسبوع الثاني حتى اجتازت جيوش كبيرة الحدود لمقاتلة الالمان يمنة والنمسويين يسرة . اما في القلب اي في الجزء الواقع غربي نهر فستولا من بولندا الروسية فقنعوا بمحاولة تاخير الالمان والنمسويين عن الزحف بطريق بوزن وكراكوفيا . وكانوا قد جعلوا غرضهم في هذه البقعة مدة حشد الجيش الاكتفاء بالدفاع عن خط فستولا . ولو تمّ الحشد قبل الوقت الذي تم فيه ما استطاعوا عملاً يذكر قبل كسر جيوش اعدائهم في بروسيا الشرقية وغاليشيا . والا فلو زحفوا من فرسوفيا غرباً قبل اكتساح تينك الولايتين لعرّضوا جناحيهم ومواصلاتهم لهجوم الالمان عليها من الشمال والنمسويين من الجنوب . وعليه

ارسلوا جيشين جنوباً بطريقين مختلفين على لمبرج . وشرعوا شمالاً في غزوة بروسيا الشرقية

***

عهد في الاعمال الحربية ببروسيا الشرقية الى الجنرال رننكامب من جنرالية قسم الفرسان . وهو احد القواد القلائل الذين اشتهروا في حرب روسيا واليابان. والجنود الروسية تحبه حباً جماً .وليس يسهل علينا ان نقدر بالدقة قوة الحملة التي ارسلت بقيادته لغزو بروسيا الشرقية ولكن يرجح ان عدد جيشه لم يزد على اربع مئه الف مقاتل . وقد حشد هذا الجيش محاذاة نهر نيمن من كوفنو فجنوباً تحت حماية الحصون التي تحرس معابر النهر

وفي اثناء حشد الجيش شرعت الفصائل المرابطة غربي النهر حذاء الحدود في مناوشة الجنود الالمانية الواقفة بازائها . وكان الامر قد صدر الى هذه الجنود بالتزام الدفاع لان معظم الجيش الالماني التابع للصف الاول او الجنود النظامية ارسل الى فرنسا والبلجيك ولم يكن عند الجنرال لفرنسوا الالماني الذي وكل اليه الدفاع عن بروسيا الشرقية غير قليل من الفيالق المحلية وفي جملتها الفيلق الاول ومركزه كونجسبرج.والفيلق العشرون ومركزه الينشتين.والفيلق السابع عشر ومركزه دانتسك . والفيلق الثاني ومركزه ستاتن.فهذه الفيالق البروسية تعدّ من خيرة الجنود في الجيوش الالمانية ولكن مجموعها كلّها قد لا يبلغ ٢٥٠ الف جندي . فاذا شاءت الوقوف في وجه جيش رننكمب وجب ان ينضم اليها رجال صف الدفاع الثاني وهم الاحتياطي وصنف الرديف الاول . ولا بدّ من مرور وقت ليس بالوجيز قبل اكمال فيالقهم . على انه مهما يبلغ عددهم في بادىء الامر لا يساووا الجيش الروسي الغازي

وجرت المعركة الاولى بين طلائع الجيشين في ثالث اغسطس وكانت نتيجتها



صورة عساكر المانية ذاهبة من برلين لتحلَّ محل من قتل وجرح وأسر في الصفوف المحاربة الآن . وقد وقفت الجماهير من أهل برلين رجالاً ونساءً في الشوارع لتشاهدها وتهتف لها في وداعها

ان حامية «ممل» صدّت فصيلة قوزاقية كانت قد اجتازت الحدود . وبعد ذلك بيومين اجتازت الحدود فصيلة من حرس الحدودالروسي الى جنوبي المكان الاول في لك وبيالا فهزمت الفصائل الالمانية التي قاومتها وخرّبت سكك الحديد . وفي سابع الشهر صمدت للقوزاق فصائل من صنف الرديف فاجلتهم من الغابات المجاورة لمركز يوهنسبرج ولكن في اليوم نفسه زحفت قوة روسية كبيرة من سوفالكي واجتازت الحدود ووضعت يدها على خط سكة الحديد بين لك وجوالداب بلا مقاومة . وبذلك استولى الجيش الروسي على اقليم الحدود الواقع في الجنوب الشرقي من بروسيا الشرقية حذاء خط سكة الحديد الممتد من فرسوفيا بطريق ولاية كونجسبرج ذات البحيرات

وكانت خطة الجنرال رننكامب ان يزحف بجيشين ـ الشمالي منهما (الميمنة) وهو الاكبر يزحف حذاء سكة الحديد الممتدة من كوفنو في شمال بولندا على حصن كونجسبرج البحري بطريق جمبنن . والجنوبي (الميسرة) يزحف بطريق لك ولونسن . وكانت الطيارات لا تفتأ ترقب حركات الروس في هذا الطور من زحفهم . اما الروس فكانت وسائل الاستطلاع الحديثة قليلة عندهم وطياراتهم دون طيارات الالمان وطياروهم اقل جراءة واقداماً

وكانت خطة الالمان تاخير زحف الميسرة في بلاد البحيرات والغابات على يد فصائل من الاحتياطي والرديف ومناجزة الميمنة القتال في معركة فاصلة . واختاروا جمبنن لمواقعتها لما يحدق بها من الغابات والمستنقعات. وفي وسط الغابات يمرّ نهر صغير حفر الالمان الخنادق على ضفته الغربية وقطعوا الاشجار والقوها حوائل في طريق الروس ونصبوا الاسلاك الشائكة . والمرجح ان عددهم كان ٢٠٠ الف رجل . ولم يكونوا يظنون ان الروس يهاجمون هذا الموقع بشدة قبل ابتداء سبتمبر

ولكن رننكامب كان قد قرر الاسراع في الهجوم والشروع فيه حتى قبلما يتم حشد الجيش . وعليه تحرك جيشه من جهة نهر نيمن زاحفاً على الحدود في الاسبوع الثاني من اغسطس . وفي ١٤ اغسطس عرف الالمان من اخبار الطيارين ومن تعزيز طليعة القوزاق التي على الحدود ان هجوم الجيش الروسي قريب . وفي اليوم التالي اجتاز رننكامب الحدود بواجهة طويلة . واجتازت الميسرة الحدود ايضاً بقيادة الجنرال سمسونوف عن طريق لك قاصدة بلاد البحيرات . ولم يصادف الجيشان سوى مقاومة قليلة من الفصائل الالمانية التي كانت تقاتلها متقهقرة الى الغابات

ولم يأت يوم ١٦ اغسطس حتى كان الروس قد بلغوا جمبنن فحال خط الخنادق التي حفرها الالمان دون تقدمهم . وقد جاء في الروايات الروسية ان قوة الالمان كانت مؤلفة من ثلاثة فيالق . وربما أضيف اليها بعض الاورط الاحتياطية والفصائل المعدة للدفاع المحلي مما جعل عددها ١٥٠ الفاً على القليل و ٢٠٠ الف على الكثير

وجرت في جمبنن المعركة الاولى الكبرى فدامت اربعة ايام من ١٧-٢٠ اغسطس . وبدأت بتبحاري الفريقين في اطلاق المدافع . وكان يفصل بينهما مطمئن مستنقع من النهر الذي مرت الاشارة اليه . وكان رننكامب منهمكاً بتجسس مراكز الالمان في المقدمة وعلى الجناحين في ارض الغابات بغية الاقدام على حركة جانبية

وفي ١٩ اغسطس اغتنم فرصة تفوقه على الالمان عدداً فهاجمهم هجوماً صادقاً على طول الخط ليشغلهم وفي اثناء ذلك قام احد فيالقه التي على ميسرته بحركة جانبية واسعة حول ميمنة الالمان مخترقاً الغابات ودفع القوة التي وجهت لمقاومته وتمكن من الايغال حتى وقف وراء خط الالمان الدفاعي . وفي اليوم التالي تمّ للروس

النصر . فان رننكامب ما زال يعزز ميسرته حتى احدق بالميمنة الالمانية واثخن فيها قتلاً واسراً حتى عدّ اسراه بالالوف وغنم كثيراً من المدافع

ولما رأى الالمان ما حلّ بجناحهم الايمن اخذوا يتقهقرون على طول الخط حذاء سكة الحديد والروس يطاردونهم . واخلوا انستربرج وهي ملتقى خطوط سكك الحديد بعد ما انفقوا كثيراً من الجهد والتعب على اقامة الاستحكامات شرقي البلدة.وفي اليوم عينه اخلوا مدينة تلست شماليها فاحتلها الروس بلا مقاومة

اما الجيش الجنوبي الذي كان الجنرال سمسونوف يقوده فلم يلق من مقاومة الالمان ما لقي الشمالي وقد جرت عدة مناوشات كان غرض الالمان منها تأخير الروس عن الزحف فلذلك لم يثبتوا في ميادين القتال الاّ قليلاً فاحتل الروس نوتسن.ثم جرى قتال شديد فيفرانكينو غربيها فقهر سمسونوف قوةالمانية كبيرة وغنم بعض المدافع وبذلك بلغت ميسرة الروس بسلام شمالي مجاهل البحيرات انصعبة وتمكنت من الانصال بالميمنة التي يقودها رننكامب

وكان الالمان بعد معركة جمبنن الكبيرة قد جلوا عن شمالي بروسيا الشرقية وارتدوا على كونجسبرج بلا قتال يذكر.فلم ينصرم اغسطس الا وهم على ابواب كونجسبرج تحميهم حصونها الامامية . وكان رننكامب قد انتدب بعض فيلق من ميمنته لحصر كونجسبرج من جهة البرّ ثم انضم ببقية جيشه الى الجيش الجنوبي وزحف جنوباً بغرب نحو نهر فستولا الاسفل . ولم يكن الاّ القليل حتى احتل بلا مقاومة حصن ألينشتين مركز الفيلق الالماني العشرين وهو كذلك محطة مهمة لقسم الطيران في الجيش . وقبل اخلائه اخذت حاميته ما فيه من البلونات والطيارات واضرمت النار في مستودع البلونات الكبرى . فما انقضى اغسطس حتى كان الروس قد احتلوا بروسيا الشرقية كلها تقريباً وفرّاهل القرى والضياع الى جهات شتى بلغ دانتسك نحو ٢٥٠ الفاً منهم

وافضى انتصار الروس العاجل الى كثير من المبالغات.فقال قائل انهم يزحفون بجموع كثيفة على الفستولا وانهم يوشكون ان يهاجموا حصني جرودنتس وطورن وان كونجسبرج حصرت تماماً . وظاهر ان القول الاخير ارجوفة لا محل للصحة فيها لان كونجسبرج متصلة بالساحل وواسطة الاتصال حصونها الغربية فلا يمكن الروس ان يحصروها الا وزمام البلطيك في ايديهم وهو ليس كذلك . وجهدما بلغوه منها انهم اقاموا الاستحكامات وحفروا الخنادق شرقيها . وكان رننكامب قد زحف بجيش الميدان الى ما وراء ألينشتين بقليل . وقبل بلوغ فستولا لا بد من اجتياز منطقة من الارض حول حصني اوسترود وتننبرج شديدة المراس كثيرة البرك والمستنقعات والغابات

وكان رننكامب في ظاهر الامر قد اجتاح كل شيء في وجهه ولكن موقفه كان يزداد حرجاً في الحقيقة . فان امعانه في بلاد بروسيا الشرقية الى هذا الحد لا مبرّر له الا كون هذه الاغارة مجرد مظاهرة أريد بها القاء الرعب في قلوب اركان حرب الجيش الالماني ليخففوا الضغط عن الميدان الغربي في فرنسا . وبعبارة اخرى يقال ان هذه الحركة كلها مناورة يقصد بها «البلف» لا غير . ولكن ضعف مقاومة الالمان بعد معركة جمبنن اوقع في نفس رننكامب ان اطراد الزحف مأمون العاقبة . وغريب من جنديّ مثله ان يساق مع تيّار القائلين ان الجيش الروسي يستطيع ان يبلغ برلين من غير ان يلقى مقاومة تذكر

وفي اواخر اغسطس كان الالمان يعدون العدّة للتحول من الدفاع الى الهجوم بشدة . فاستقدموا الجيش الذي اعتصم بحصن كونجسبرج ولم يبقوا منه في ذلك الحصن الاّ ما يكفي لتعزيز حاميته . وارسلوا الذين استقدموهم الى حصن دانتسك وفستولا الاسفل وحشدوا على ضفاف هذا النهر جيشاً كبيراً لاسترجاع بروسيا الشرقية ووكلوا قيادته الى الجنرال فون هندنبرج.وكان في اوائل الحرب

في المعاش وهو من مشاهير القواد حارب في سنة ١٨٧٠ جندياً ثم ارتقى شيئاً فشيئاً الى رتبة جنرال وقاد الجيوش الالمانية عدة سنين في بروسيا الشرقية فدرس البلاد درساً خاصاً من الوجهة العسكرية . وفي المناورات الكبيرة التي كانت تقام فيها انتصر على خصومه غير مرة في مجاهل البحيرات والغابات اذ كان يستدرجهم اليها ويستاقهم الى ارض تغور فيها عجلات مدافعهم ويغوص مشاتهم في الماء والوحل حتى جنوبهم

وبعد احالته الى المعاش اتخذ بروسيا الشرقية موطناً له فجاب كل شبر من ارض البحيرات وكان يستصحب معه مدفعاً من مدافع الميدان الكبيرة بمركبته وجياده يستعيره من حامية كونجسبرج او من حامية الينشتين ويستخدمه في تجارب كثيرة حتى عرف بالاختبار والامتحان اين يمكن جرّ المدافع في المستنقعات من غير ان تغور واين لا يمكن ذلك . وكان يصف هذه البقعة بقوله انها حصون طبيعية لبلاد الحدود . ومنذ بضع سنوات وضع مشروع كبير لاحياء موات بروسيا الشرقية وتجفيف بحيراتها وقطع غاباتها وردم بركها وحفر ترع الري فيها لتحويل اراضيها الغامرة ضياعاً عامرة وتبلغ مساحتها مئات الاميال . فقاوم الجنرال هندنبرج هذا المشروع اشدّ مقاومة وأم برلين حيث قابل الامبراطور والتمس منه ان يمنع انفاذ هذا المشروع قائلاً ان تحويل تلك الارض الموحشة ارضاً زراعية اهلة هو خسارة لا يعيضنا منها مال مهما يرتفع ثمنها بعد احيائها وهو اشبه شيء بهدم حصن كبير عزيز وحرث ارضه لزرعها كرنباً . فان تلك الارض هي حصون المانيا الطبيعية من جهة روسيا . فسمع الامبراطور مشورته والغى المشروع . ومن حسن حظه انه اختير لقيادة الجيوش الحقيقية في بقعة طالما قاد الجيوش فيها الى معارك خيالية . فكان حظّ اعدائه الحقيقيين حظ خصومه الخياليين من الهزيمة والانغلاب بله ما في الاول من الغل والغمر واراقة الدم

جاءت اواخر اغسطس واوائل سبتمبر وهندنبرج يجمع جموعه حوالي اوسترود وتننبرج وهوهنشتين وهي قرى صغيرة في بلاد البحيرات على خط سكة الحديد الاكبر المند من طورن وجرودنتس على نهر فستولا الى الينشتين . واستقدم الامداد والمدافع الضخمة من حاميات فستولا بسكة الحديد والسيارات بالدروب المعتادة . ثم احتل موقفاً حال دون تقدم رننكامب من الينشتين . وكان موقفه في الظاهر بلا مزية تميزه عمّا حوله من البلاد . والراجح ان رننكامب ظن ان قرنه انما اختار ذلك الموقف لقربه من سكة الحديد . وواقع الامر انه اختاره لمزايا فيه عرفها وخبرها بنفسه . فانه اختار قتال خصمه حيث يستطيع اطالة صف القتال الى بحيرات تقف عقبة في سبيل كل حركة عدائية . اما الارض الواقعة خلف صفّه فارض يابسة يسهل اجتيازها من اليمين الى اليسار وبذلك يتمكن من تعزيز احد جناحيه عند الاقتضاء . واما الارض التي امامه فتظهر للناظر انها لا تختلف بشيء في طبيعتها عن الارض التي وقف بجيشه فيها ولكنها في الحقيقة ارض تتخللها تربة لينة كثيرة البرك والوحول ووراءها من اليمين غاب مستنقع بصعب جداً نفهقرجيش كبير بطريقها ويستحيل جرّ المدافع ومركبات النقل بسرعة

جرت واقعه تننبرج هناك ودامت ثلاثة ايام وتقاتل ربع مليون من الرجال عن كل جانب . ولكن مرّ اسبوعان او اكثر عليها قبلما عرف الناس ان الالمان انتصروا فيها . ولم يكن مع احد الفريقين مراسلون حربيون . ومضت مدة والبلاغات الروسيه الرسمية لا تذكر عنها شيئاً . واشارت الصحف الالمانية الى معركة انكسر الروس فيها انكساراً كبيراً واتصل الخبر بانكلترا فعدّه الجمهور فيها حديث خرافة

اما تفصيل المعركة فكما يأتي : يظهر ان جيش هندنبرج كان في بدء المعركة

دون جيش رننكامب عدداً فعززه في خلال القتال بسكة الحديد . على انه كان افوى من خصمه في المدافع بادىء ذي بدء فانه استقدم المدافع الضخمة من حصون فستولا وقلاعه وبطريات الميدان من بوزن . قال ضابط روسي يصف كبره مدافع الالمان : «وقد غصّ خط قتالهم بالمدافع كأنها بنادق» . وكانت النتيجه ان «نركيز» نار المدافع على هجمات الروس من واجهة القتال حصد صفوف الهاجمين حصداً في اليومين الاول والثاني من المعركة . وفاز الروس في بعض كرّاتهم هذه فوزاً محلياً اذ استولوا على بعض القرى برؤوس الحراب ولكن الالمان مطروها وابلاً من قنابلهم فلم يطق الروس الصبر عليها فاخلوها

وكان هندنبرج حتى هذه المرحلة من القتال ملتزماً الدفاع لاضعاف قوة عدوّه قبل ضرب الضربة الفاصلة . وادرك الروس ما في اقتحام موقف الجيش الالماني مواجهة من الصعوبة فحاولوا اطالة صفهم جنوباً واكتناف الميمنة الالمانية .ولكن معرفة هندنبرج لطبيعة الارض مكنته من ايقاف هذه الحركة الجانبية بقوة صغيرة بثّها في المضايق التي بين البحيرات والمستنقعات . وفي خلال ذلك كان يستعد لمهاجمة الميمنة الروسية لجناحه الاخر

وفي اليوم التالي طار طيار روسي فوق الغابات فرأى في بادىء الامر ما يشبه ان يكون خطّاً طويلاً من مركبات النقل تسير مسرعة حذاء مؤخرة الجيش الالماني من القلب الى الجناح الايسر . ثم هبط قليلاً ليستبين ماهية ذلك الخط فرأى انه ليس مؤلفاً من مركبات لنقل المؤونة والذخيرة كما خيّل اليه اولاً بل من سيارات ومركبات من كل صنف تقل المشاة الى الميسرة ثم تعود الى القلب مسرعة لتقل غيرهم . فابلغ اركان حرب الجيش الروسي ما رأى فتمكنوا من تعزيز ميمنتهم في الوقت الملائم . وفي ظهر اليوم التالي بدأت المعركة الفاصلة مع هذه الميمنة . فان هندنبرج اضعف قلب جيشه ليحشد على ميسرته قوة تمكنه

من الالتفاف حول ميمنة الروس. بدأت هذه الحركة مساءً ودامت طول الليل وفي صباح اليوم الثالث اتمها فجعلت ميمنة الروس تتقهقر متضعضعة تحت ضغط الجيش الالماني من امام ومن اليمين ووجدت انه يصعب عليها انتشال نفسها من الغابات والبرك والمستنقعات التي قامت المعركة بينها . فسقط في ساحة القتال ثلاثة قواد برتبة جنرال هم سمسونوف وبستتش ومارتوس. واخذ الالمان عشرات الالوف من الاسرى وعدداً كبيراً من المدافع . ويقول الالمان انهم اهلكوا ثلاثة فيالق ونصفاً من الفيالق الخمسة التي تألف جيش الروس منها

على انه لا ريب ان هذا النصر الذي حازه الالمان هو اتمّ نصر حازوه في اوائل الحرب . وكانت نتيجته المباشرة اخلاء الروس لبروسيا الشرقية على عجل . فان رننكامب استخلص من مجاهل البحيرات بقية الجيش الذي حارب في تننبرج وانكسر . وصدر الامر الى القوة التي كانت تحصر حصون كونجسبرج الشرقية والى الجيش الذي كان زاحفاً على دانتسك و«دلتا» الفستولا «بالانسحاب» وبدأ التقهقر العام الى انستربرج حيث ملتقى سكك الحديد . وهناك جرت واقعة اخرى قال هندنبرج انها انتهت بنصر ثان له . ولكن الروس انما قاتلوا في هذه المعركة ليصدوا الالمان عن مطاردتهم وقتياً . وبعد هذه المعركة ارتد رننكامب على جمبنن ثم اجتاز الحدود وتقهقر الى خط نهر نيمن حيث كانت امداد كبيرة تنتظره

زعم الالمان انهم يوغرون صدور المسلمين و نيرونهم حتى ينقضوا فى بلادهم على الحلفاء من الانكليز والروس والفرنسويين فكانت النتيجه ان جنود المسلمين هرعت الى اوربا تقاتل الالمانس انتصاراً لاعدائهم عليهم . وفى هذه الصورة رسم عساكر من المغاربه والانكليز يتصافحون متآخين



صورة عساكر التركو يصافحون العساكر الانكليزية

الفصل الثالث والعشرون

غزو الروس للنمسا

استيلاؤهم على لمبرج في غاليشيا

الخطة النمسوية الالمانية — فصل الروس للنمسويين عن الالمان — غزوة النمسا لبولندا الروسية — زحف الروس خلسة حذاء نهر نيستر — زحف قوة روسية اخرى جنوباً — كتمان الحركتين — هجومهم فجأة على هالتز — نصر روسي عظيم — اخذ لمبرج واسترجاع غاليشيا الدوقية الروسية القديمة

كانت المانيا قد وضعت بروجرامين للنصر في ميداني الحرب الشرقي والغربي. ولكنها لما كانت تحتاج الى ثلاثة ملايين رجل في فرنسا لم يبق عندها سوى مليون واحد للدفاع امام روسيا وجلّهم من صنف المليشيا فلذلك اعتمدت على النمسا في القيام بالاعمال الحربية الهجومية في ميدان الحرب الشرقي . واعدّت خطة الهجوم المزدوج لفتح بولندا الروسية

وفحوى هذه الخطة ان جيشاً نمسوياً عدته مليون رجل من خط الدفاع الاول يزحف على بولندا من غاليشيا بين كراكوفيا ولمبرج . وجيشاً المانياً مثله كمّا ودونه كيفاً يزحف على فرسوفيا من بروسيا الشرقية وبولندا الالمانية . وبذلك يهاجم الجيش الروسي المدافع من ثلاث جهات . فاما ان يهزم واما ان يدفع الى وراء عن مركز سككه الحديدية في براست لتوفسك

وكانت هذه الخطة سهلة نظراً صعبة عملاً كسائر الخطط الالمانية . ولو ان الروس فعلوا ما كان الالمان وحلفاؤهم ينتظرونه لغلبوا على امرهم.ولكن اركان حرب الجيش الروسي كان عالماً بخطة الالمان الحربية فجاء بسلسلة من المفاجآت

افسدت على التوتون خطتهم . فان غزوة الروس لبروسيا الشرقية فجأة بقيادة الجنرال رننكامب حالت دون اشتراك الالمان مع النمسويين في الاعمال الحربية . لانهم خافوا على حقولهم ومدنهم في بروسيا الشرقية ان يعثو فيها الروس مفسدين «فانسحبوا» من بولندا الروسية بعد ما بلغت طلائعهم مدينة لودز في طريقها الى فرسوفيا واحتشدوا في بروسيا الشرقية على عجل للقاء غزاة القوزاق

وكانت نتيجة هذه الحركة ان الجيوش النمسوية في غربي بولندا الروسية تركت تحت رحمة الروس . على ان قواد الجيش النمسوي كالجنرال دنكل والجنرال اوفنبرج وغيرهما من الارشيدوقية بقوا معتملين واثقين بانفسهم . ولما كان في ايديهم ٢٥٠٠ مدفع ومليون رجل من خيرة الجنود النظامية كانوا يحسبون روسيا جباراً غلبه النعاس فلا اسهل من طعنه طعنة تورثه حتفه قبلما يفيق من سباته . فعجلوا تعبئة الجنود ووجهوا جيشين كبيرين الى الحدود . فسار الواحد حذاء نهر فستولا والاخر حذاء نهر بج وكان طول مقدمتهما ثمانين ميلاً فاجتاحا كل شيء امامهما وهما يزحفان على لوبلن وخولم في طريقهما الى فرسوفيا او براست لتوفسك

وكانت حرب روسيا واليابان قد اوقعت في نفس النمسويين والالمان انه يمكن تصديع السلطنة الروسية من اسسها بهجوم سريع وكانوا يعتقدون ان روسيا لا تستطيع تعبئة جيش كبير قبل اوائل سبتمبر مهما تعجلت وبكرت. ولكن اركان حرب الجيش الروسي اخذ النمسا على غرة من هذه الجهة وفاجأها باسرع مما فاجأ الالمان في بروسيا الشرقية. نعم ان قلة سكك الحديد في روسيا وقلة الدروب الصالحة لمسير الجيوش حالت دون حشد قواتها كلها بالسرعة اللازمة على حدود النمسا ولكن الروس تمكنوا من صدّ مليون نمسوي بقوة اقل وكان الفضل في ذلك لتفوقهم في المدافع

لو جرى الغراندوق نفولا قائد الجيوش الروسية العام على طريقة مولتكي الالمانية لوجب عليه ان يحشد الجنود في وجه النمسويين ثم يحاول اكتناف احد جناحيهم . هذه هي الطريقة التي لجأ الروس اليها في مقاتلة اليابانيين ولجأ اليابانيون اليها في مقاتلة الروس . فاذا كان الفريقان متكافئين افضت الى شيء اشبه بالحصار في العراء وقلما جاءت بنتيجة باتّة . فلذلك اطّرح الروس هذه الطريقة بعد حرب اليابان وعادوا الى طريقة نابوليون وهي سرعة المضاء في الضرب والهجوم مواجهة فان هذه الطريقة اجدر بالنتائج الفاصلة فاما نصراً عاجلاً مبيناً واما خذلاناً ساحقاً ماحقاً . فاذا حاز الروس النصر مزّقوا قوة النمسا قبلما يتمكن الالمان من انجادها

على ان وجه العيب في هذه الطريقة هو ان نابوليون عمد اليها في معارك لم يزد طول مقدمتها على بضعة اميال فكان يمكنه نقل الجند من جناح الى جناح باوفر سرعة . اما في الحروب الحديثة فقد تمتد المقدمة من مئتي ميل الى اربع مئة. ثم ان روسيا قليلة سكك الحديد فيتعذر عليها نقل الجنود هذه المسافة الطويلة للمفاجآت الكبرى ولكن الغراندوق نقولا والجنرال سخوملينوف رئيس اركان حربه أيقنا ان قوة بنية الجنود تساعدهم على قطع المسافات الشاقة مشياً على الاقدام ثم خوض المعمعان في قتال الاعداء مما لا يقوى عليه غيرهم

واول جيش اقدم على مثل هذا العمل الكبير جيش بسارابيا وبودوليا بقيادة الجنرال بروسيلوف فانه سار خلسة دائراً حول شمالي رومانيا حتى بلغ الزاوية الشرقية من ولاية غاليشيا النمسوية . وفي الوقت نفسه سارت قوة من كييف بقيادة الجنرال رسكي لمساعدة الجيش الاول وكان مسيرها من نقطة تبعد مئات الاميال عنه . وكان هذا الجيش ميسرة الجيش الروسي الاكبر المدافع عن بولندا ولكنه تمكن من اخفاء علاقته بجيش الجنرال بروسيلوف مدة اسبوعين عن النمسويين

وكان على الجنرال بروسيلوف ايضاً ان يزحف للهجوم من غير ان يشعر العدو بحركته ففاز بامنيته هذه بمعاونة الجنرال رسكي له . ذلك انهما ارسلا امامهما حجاباً كثيفاً من فرسان القوزاق على طول حد غاليشيا الشرقية فكانوا يناوشون الاعداء على مدى ١٥٠ ميلاً من الحدود عند كل درب وجسر بين نهري نيستروبج. وما فتئوا يناوشون على هذا المثال من ابتداء الحرب . وبعد اسبوعين كل قائد الجيش النمسوي في لمبرج ومل هذا الحال وهذه الطريقة المجدبة من الحرب . فارسل في الاسبوع الثالث من اغسطس قوة عددها الفا رجل للاستكشاف في بودوليا

فبلغوا بلدة جورودوك عبر الحدود ولم يكن الروس يحبون وجودهم فيها لان الجنرال بروسيلوف كان زاحفاً بجيش جرار على غاليشيا بطريق هذه البلدة. فلذلك قرروا صدهم هناك خشية ان يطلعوا على حركة الجيش الروسي ويعودوا الى قومهم بالخبر اليقين . ولكن لم يكن في تلك البلدة سوى ٩٠٠ قوزاقي لستر حركة الجيش فعهد اليهم في طرد الاعداء من غير ان ترسل اليهم نجدة كبيرة تهيج ريب الذين ينجون منهم ويعودون الى قومهم

فوقف القوزاق في غابة وراء البلدة ثم انسل ثلاثون منهم نحو النمسويين مستترين بستر الاشجار حتى طلعوا عليهم فتظاهروا بانهم اخذوا على غرة ثم نكصوا فارين على الاعقاب. فانخدع النمسويون بهذه الحيلة وتبعوهم فوقعوا في كمين فقتل الف منهم . اما الباقون فانقلبوا عائدين من حيث اتوا والقوزاق يطاردونهم حتى دخلوا غاليشيا فاخذوا يغزونها بجيشهم الاكبر

وهنا ظهر وجه الخطر في مشروع الروس . فان جيش رسكي كان يزحف على لمبرج من الشمال وجيش بروسيلوف يزحف لملاقاته فيها من الشرق . فاذا تيسر لهما الالتقاء زاد عددهما على الجيش النمسوي المدافع عنها . على ان كلاً منهما

اضعف من النمسويين فيمكنهم ان يكسروه اذا انفردوا به. ولكن بروسيلوف ابدى مهارة فائقة المعتاد اذ تمكن من استراق الخطى الى غاليشيا وفتح جزء كبير منها قبل انضمامه الى رسكي. وبقيت حركات الجيش مكتومة عن النمسويين من ١٩ اغسطس الى ٣١ منه مع ما كان لهم من الجواسيس وما كان لجواسيسهم من المهارة والبراعة

وسبب نجاح الروس في اخفاء حركاتهم الحربية هو ان البلاد التي كانوا يحاربون فيها كانت دوقية روسية انتزعت من اسلاف القيصر الحالي. وبعبارة اخرى ان غاليشيا الشرقية من روسيا بمكان الزاس ولورين من فرنسا. يقطنها قوم صقالبة هم مثل جيش بروسيلوف لغة ومذهباً وعادات. فكان اهل القرى التي يمر الجيش بها وقسيسوها يخرجون لملاقاة اخوانهم بالرايات والاعلام واهل المدن ينثرون عليهم الازاهر ويصنعون كل ما من شأنه ان يضل النمسويين والمجر ويستر عنهم وجه الحقيقة

ولكن هذا كله لا يشفع ببلادة اركان حرب الجيش النمسوي ولا يعذر حمقهم وتقصبرهم فانهم كانوا يعلمون منزلة غاليشيا الشرقية من روسيا فلم لم يتحوطوا للأمر؟ ولعل السبب في ذلك ان طريقة مولتكي اعمتهم عن رؤية الحقائق كما هي. فقد كانت لهم مقدمة عزيزة بين نهري فستولا وبج فظنوا انهم بادامة الزحف على روسيا يكرهون الجيش الروسي على الاحتشاد في وجههم لمقاتلتهم. وطريقة مولتكي بسيطة في ظاهرها كما قال فون درغولتز ومؤداها ان يزحف الجيش المهاجم بقوة فيغري الجيش المدافع بالوقوف في وجهه لمقاتلته. وكل اعتبار غير هذا لا يؤبه له فلذلك لم يعبأوا بحركة القوزاق في غاليشيا جنوباً بل حسبوها حيلة يقصد بها الهاؤهم لا غير

وفي اثناء ذلك زحف بروسيلوف بهدوء على روافد نهر نيستر في غاليشيا فدفع خيالة النمسويين الى وراء من غير ان يمكنهم من سبر قوته. ووكل الى خيالة

القوزاق وحدهم ستر حركات جيشه وماهية قوته وفتح السبيل في وجهه بين الحصون والاستحكامات ومعابر الانهر وهم في ذلك كله لم يظهروا بغير مظهرهم المألوف ـ مظهر المناوشين على الحدود ورواد الجيش . ولكنهم افرغوا على رؤوس الجيش النمسوي جعبة حيلهم الحربية التي اشتهروا بها من قديم الزمان . من ذلك انهم اذا حرج موقفهم في قتال النمسويين انطرحوا هم وجيادهم عرماً على الارض كالاموات فاذا دنا النمسويون منهم ليفتشوهم اعملوا فيهم طبنجاتهم وفتكوا بهم . ومنها انهم كانوا ينقلبون عن سروج جيادهم الى اسفل ويطلقون لها الاعنة فتظهر كأنها افراس بلا فرسان فاذا اقتربوا من اعدائهم عادوا فتبوأوا مقاعدهم وامعنوا فيهم ضرباً وطعناً

على ان خيالة النمسويين وخصوصاً خيالة الحرس المجري تباروا هم والقوزاق في فنون الفروسية وفعلوا ما دل على انهم ليسوا دون اقرانهم فيها . وعمد النمسويون الى حيل اخرى في مقاتلة اعدائهم .من ذلك ما روي عن فرقة روسية من انها اخترقت خط النمسويين الامامي وتقدمت لملاقاة الجيش الاكبر فمرت بضابط نمسوي جالس على الارض وكأنه يضمد جرحاً اصابه في ساقه فتركوه وشأنه واستأنفوا هجومهم فصدوا غير مرة بخسارة عظيمة . وبينا كان احد ضباط الروس منهزماً في بعض فرات اورطته حانت منه التفاتة فرأى سلكاً تلفونياً ممتداً حذاء طريق كان هنالك فتتبعه فرآه ينتهي الى تلفون نصب حيث كان الضابط النمسوي يضمد جرحه الموهوم ظاهراً ويخاطب رئيسه باطناً فيبلغه حركات الروس وسكناتهم . فاقترب الروس الى الضابط النمسوي وفكوا رباط ساقه فاذا به صحيح معافى فاعتقلوه ثم حملوا على اعدائهم فهزموهم

وبالرغم من المناوشات الدائمة التي كانت تدني الروس من لمبرج لم يستشعر النمسويون خوفاً حتى عبر الجنرال بروسيلوف نهر ليبا ففطنوا اذ ذاك له ولكنهم

ظنوا انه ينوي ان يهاجم مؤخرة جيشهم الاكبر . وكان لهم حول لمبرج ثلاثة فيالق لتحمي مقدمتهم الطويله من كل حركة جانبية تبدو من الروس فلما انضم جيشا بروسيلوف ورسكي للقيام بالهجوم معاً باتت هذه الفيالق الثلاثة لا تكفي لما عهد اليها فيه . فوجه النمسويون فيلقين آخرين على جيش رسكي وعززوا الجيش الذي اعدوه لمقاومة جيش بروسيلوف بعدة فرق من المشاة والوية من الملشيا . فكانت جملة الجنود التي حشدوها حول لمبرج نحو ٣٠٠ الف

ولكن نشاطهم هذا جاء متأخراً فان الجيشين الروسيين كانا قد انضما الواحد الى الاخر في مكان يبعد اربعين ميلاً عن المدينة شرقاً ثم شرعا يهاجمانها معاً بقيادة الجنرال رسكي . وكان مع الجنرالين الروسيين قائد معروف هو الجنرال ديمتريف بطل البلغار الذي قهر العثمانيين في معركة قرق كليسه وغيرها من معارك حرب البلقان الاولى . وكان قد استعفى من الجيش البلغاري وتطوع في الجيش الروسي لمساعدة الامة الصقلبية في نزاعها مع الامة التوتونية

وقد ظهر ان الجيشين المتحاربين كانا متساويين عدداً ولكن مدافع الروس كانت افضل من مدافع النمسويين ولا سيما ان هؤلاء اعاروا الالمان احسن مدافعهم لاستخدامها في البلجيك وفرنساوهي مدافع هوتزر التي قطر فوهة المدفع منها ١٢ بوصة . وزد على هذا كله ان الجيش النمسوي الجنوبي فوجىء في ساعة اختلاط وارتباك فان الجنرال رسكي قطع الطريق في مدينة زلوكزوف (الى الجنوب الشرقي من لمبرج) على فيلقين نمسويين هما النجدة الكبرى للجيش الجنوبي المذكور فمزقهما ثم سار على لمبرج فاحتل هضبة تشرف عليها . وفي خلال ذلك دار جيش بروسيلوف (الجناح الغربي) للاحداق بلمبرج من الجنوب فالتقى في مسيره بالجيش النمسوي الجنوبي وكان متحصناً في مدينة هالكز فحاول النمسويون اتباع طريقة مولتكي وهي الاحاطة بجناح جيش بروسيلوف الجنوبي ومهاجمة الجيشين

معاً ولكن هذه المناورة اخفقت . فان بروسيلوف وقف في وجه الحركة الجانبية ثم هاجم الجنرال ديمتريف مقدمة الجيش النمسوي مواجهة

وكان مركز النمسويين الطبيعي منيعاً والهجوم عليه عسيراً ولا سيا بعد ان عززوا حصونه الطبيعية بانشاء ثلاثين حصناً صناعياً حول هالكز . وكان عبور النهر يعد مستحيلاً في عرف اهل الفن . ولكن مشاة الروس مهدوا بحرابهم كل عقبة وجازوا النهر والخنادق وفتحت مدافعهم طريقاً للمشاة اذ حطمت بطريات النمسويين وصدّعت حصونهم . وتقدم مشاة الروس اولاً متفرقين وهم يطلقون بنادقهم حتى اذا دنوا من أعدائهم حملوا عليهم بحرابهم

اما النمسويون والمجريون فحاربوا غير هيابين . فانهم قابلوا رؤوس الحراب بشجاعة ورباطة جاش وعمدوا الى حرابهم فاحسنوا ادارتها ولكن نار بنادقهم لم تكن صائبة فتوقف سيل الروس المتدفق . بدأت المعركة في ٣١ اغسطس ودامت يوماً كاملاً فتمكن الروس اخيراً من اختراق خط النمسويين وسقط من هؤلاء ٢٠ الفاً بين قتيل وجريح . ثم اطبقوا على لمبرج عاصمة غاليشيا القديمة من الجنوب وهم يدفعون فلول الجيش النمسوي المكسور امامهم . وفي تلك الاثناء جدّ جيش رسكي في السير فقطع مسافة الاربعين ميلاً التي بين زلوكزوف ولمبرج في وقت قصير واستولى على بعض الاماكن المحصنة القريبة من المدينة . وانتشر الروس شمالاً وشرقاً واحتلوا المرتفعات الى الجنوب الشرقي . ودامت المعركة ستة ايام من ٢٩ اغسطس الى ٣ سبتمبر

وكلما دنا الروس من لمبرج ازداد القتال شدة وهولاً ولكن كان قد ظهر في زلوكزوف ان مدافع الروس هي صاحبة الحول الاعظم في ميدان القتال . وبينما كان الجنرال بروسيلوف يجتاح كل شيء امامه في هالكز كان الجنرال رسكي يدفع الجيش النمسوي الاكبر في غاليشيا الى لمبرج ليحتمي بحصونها . ودامت



جنود بلجيكية في خندق تحمي سكة حديد

المعركة يومين آخرين ومدافع كل فريق تحصد رجال الفريق الاخر . وفعلت مدافع الروس الضخمة بحصون لمبرج المدرعة وسائر حصون غاليشيا ما فعلت مدافع الالمان بحصون البلجيك وشمال فرنسا

وهكذا في يومين اسكت الروس مدافع حصون لمبرج ومزقوا دروعها . وهي المدينة الرابعة في السلطنة النمسويه واهمّ حصون غاليشيا ومستودعها الاكبر . ولما خفت مدافع الحصون صدر الامر الى المشاة بمهاجمة خط الاستحكامات الاول فاستولوا عليه بعدما جندلوا بحرابهم بقيه المدفعية الذين لم تسكت مدافعهم. وحاول النمسويون الواقفون في خط الاستحكامات الثاني ابادة مهاجميهم بمدافع الميدان الخفيفة والبنادق العادية والبنادق المتعددة الطلقات ولكن مدافع الروس الضخمة قابلتها بنار حامية انقذت المشاة الذين احتلوا خط الاستحكامات الاول ولم تنفع النمسويين مدافعهم الضخمة لان الروس كانوا اتلفوا كثيراً منها. ولما راوا ذلك لم ينتظروا حملة الروس بالحراب عليهم بل تقهقروا عن خطوطهم وتحول تقهقرهم هزيمة بعد ما تضعضعت ساقتهم

وحكاية هذه الساقه غريبه . فان الضباط النمسويين والمجريين حرصاً منهم على سلامة انفسهم ومواطنيهم الفوا ساقه جيشهم من اورط الصقالبة الخاضعين للنمسا والمجر اي اهل غاليشيا وبولندا النمسوية وسرب البوسنة وعصاة البوهيميين . ولبحولوا دون امتناعهم عن القتال او انضمامهم الى الروس اقاموا وراءهم صفّاً من الجنود المجرية وامروها باطلاق النار عليهم من ظهورهم اذا بدا منهم اقل تذبذب او تردّد . والظاهر ان قواد الروس علموا بما عمل النمسويون ففي ساعة اشتداد القتال ارسلوا قنابلهم فوق رؤوس الاورط الصقلبية وصوبوها الى النمسويين والمجر المتقهقرين فكان ما كان من انهزامهم غير المنتظم تاركي مدافعهم وذخيرتهم وزادهم وشادّين الى حصن جورودوك

فاطبق الروس على المدينة من الشمال والشرق والجنوب واستولوا على خط الاستحكامات الاخير عنده واندفعوا الى اسواق المدينة كالاّتيّ الجارف وكان ذلك في الثالث من سبتمبر . فحاول بعض فصائل النمسويين ان يقاومهم في الاسواق ولكن الروس اسروا رجالها . واستقبل الصقالبة من أهل المدينة اخوانهم الجنود بالاهازيج الوطنية وانزلوهم على الرحب والسعة. ثم قابل وفد من اهل المدينة الجنرال رسكي واعربوا عن رغبة الصقالبة في ان يكونوا ابناء مخلصين للسلطنة الروسية . ولم يمدّ الجنود يداً لاخذ شيء ولا سألوا اهل المدينة شيئاً . والغنيمة الوحيدة التي اخذوها هي «مهمات» الجيش النمسوي ومئتا مدفع وكثير من الامتعة. اما المهمات فكانت هائلة المقدار لان النمسويين جمعوها من جميع اجزاء البلاد وخزنوها في لمبرج فكان منها قدر يكفي الجيش ستة اشهر او اكثر

على ان اهم ما في هذه المعركة الكبرى هو ان المناورة النابوليونية نجحت. فان ثلاث مئة الف جندي نمسوي يؤلفون ميمنة اعظم جيش غزا روسيا في تاريخ الحروب باتوا مضعضعي الحال ممزقي الشمل . فقد جمعوا لحماية الجيشين النمسويين اللذين عهد اليها في الاعمال الحربية شمالاً . فانكسارهم وانهزامهم عرض ذينك الجيشين للهجوم عليهما من وراء وامام ومن احد الجناحين . وبعد هذه النتيجة زحف الجنرال رسكي على الفور شمالاً .اما ديمتريف وبروسيلوف فبقيا حول لمبرج لمناجزة الجيش الذي كسراه بعدما اتته امداد من الجيش الالماني والميلشيا المجرية

الفصل الرابع والعشرون

غزو النمسويين لروسيا

انكسار الجيش النمسوي الاكبر

مليون نمسوي يغزون روسيا — اخفاق الخطة الالمانيــة لمهاجمة فرسوفيا — اقدام النمسا على ذلك — استدراج النمسويين الى الداخلية بعيدين عن سكك الحديد — انهزامهم — انكسار ميمنتهم وميسرتهم والاحداق بقلبهم — ردّهم متقهقرين على المستنقعات — انقاذ المانيا لحليفتها من الانكسار التام

لا ريب ان محاولة النمسا غزو روسيا هو عمل اخرق انتجته مخيلة رعناء . فان نصف الجيش النمسوي تقريباً مؤلف من الصقالبة رعية النمسا والمجر . وهؤلاء الصقالبة يتلعون الاعناق شوقاً الى اخوانهم الصقالبة اهل روسيا ويعتمدون عليهم لحل ربقة الخسف الذي يسامونه في حكم اسيادهم النمسويين والمجر

هذا هو الحال الذي قضى على النمسا بالهلاك منذ امتشقت الحسام لقتال روسيا. فان روسيا هي الدولة الوحيدة التي لا رجاء للنمسا في الانتصار عليها ولو بالمنام . وربما كانت مهاجمتها لبروسيا عدوتها القديمه ايسر عليها بكثير من مهاجمة روسيا ولكن البروسي بخداعه والمجري باطماعه اقتاداها الى مصرعها كدولة امبراطورية

مضت الاسابيع الثلاثة الاولى من غزوة النمسا لروسيا فجرت المقادير فيها على هواها لانها تمكنت بنظام سككها الحديدية المشابه للنظام الالماني من حشد جيش جرار بين كراكوفيا وبجميسل يبلغ نصف مليون عداً . ثم وجهته الى فرسوفيا وبراسب لتوفسك من بولندا الروسية . فسار متثاقلاً عن جانبي نهر فستولا وميسرته متجهة الى رادوم وميمنته الى لوبلن وخولم . وسبب هذا

التثاقل ان النمسويين كانوا ينتظرون قدوم الالمان للاشتراك معهم ولكن طلائع الالمان بلغت لودز وبترو كوف و كيالس ثم عادت ادراجها.وذلك لان مهاجمة روسيا لبروسيا الشرقية استغرقت جميع القوات التي استغنت المانيا عنها في فرنسا. فتركت النمسا وشأنها في ذلك الموقف الحرج لتنجز مهمتها الشاقة بلا مساعدة

فلا عجب والحالة هذه اذا رأينا الجنرال دنكل قائد الميسرة النمسوية والجنرال اوفنبرج قائد الجيش الاكبر يحجمان عن الايغال في الاراضي الروسية . لانهما كلما اوغلا طالت خطوط مواصلاتهما في بلاد سككها الحديدية قليلة ودروبها الصالحة للسير نادرة

على انه بينما كان النمسويون مترددين كان الروس يعملون بحزم وبعد نظر . نعم ان التعبئه الروسية لم تكن قد تمّت حينئذ ولكن الروس جمعوا قوة كبيرة بين فرسوفيا وكييف فجعلت تسوق الجيوش النمسوية الى مصرعها محجوبة بحجاب كثيف من الفرسان . ذلك ان الروس قاوموا بعزم شديد سعي النمسويين في الزحف على فرسوفيا وايفانجورود غربي نهر فستولا . ولكنهم تركوهم في بادىء الامر يزحفون شرقيه بينه وبين نهريج احد روافده وخصوصاً في جهة خولم . وكانت طلائع الروس صغيرة ضعيفة المقاومة فجعل القواد النمسويون يذيعون في فينا وبودابست اخبار دفعهم لها الى وراء كأنها سلسلة انتصارات باهرة . وكانت النمسا والمجر في حاجة الى الانتصارات السريعة الكبيرة لترعبها العصاة من رعاياها الصقالبة وتحول بينهم وبين الفتنة . وعليه جعل قوادها من الحبّة قبة ومن المناوشات البسيطة معارك كبيرة خذل الروس فيها ايّ خذلان

وما زال الجنرالان دنكل واوفنبرج يمعنان في ارض روسيا زاحفين على لوبلن وخولم حتى ابعدا ٥٠ ميلاً عن الحدود . فما اقبل اليوم الخامس والعشرون من اغسطس حتى اصبحا على مقربة منهما ومن سكة الحديد التي تصل بينهما وتمتد

الى ابفانجورود وفرسوفيا . ولكن الروس لم يسمحوا لهما بالاستيلاء على تينك المدينتين ولا على سكة الحديد. وكانا قد بلغا الخط الذي قرر الروس مقاومتهما عليه بين نهري فستولا وبج . وكان الجيش الروسي الذي يقوده الجنرالان رسكي وبروسيلوف يزحف حينئذ جنوباً في غاليشيا فرأى الروس ان ليس من الحكمة مواقعة قلب النمسويين وميمنتهم قبلما يقاتل القائدان المذكوران الجيش النمسوي الثالث (الميمنة النمسوية) حول لمبرج ويشغلانه عن القلب والميسرة

لذلك كان همّ القائد العام للجيوش الروسية بين ٢٢ و٢٨ اغسطس ابقاء الغزاة بعيدين عن سكة حديد لوبلن وخولم . والظاهر ان المعركة الاولى الكبرى نشبت في كرينتس قرب سكة الحديد لما حاول النمسويون تخطي الخط الذي رسمه الروس لهم وجعلوه الحد الاقصى لزحفهم. فردهم الروس برؤوس الحراب. وقد تمكن الروس بحرابهم من اسر ربع مليون نمسوي في سلسلة المعارك الاولى بين انهر بولندا . على ان معظم اولئك الاسرى من الصقالبة رعية النمسا . فان الضباط كانوا يضعونهم في مقدمة القتال حيث النار على احرّها ويضعون وراءهم جنوداً من النمسويين أو المجر ليطلقوا النار عليهم اذا آنسوا منهم ميلاً الى الاعداء. وكان القواد الروس يعلمون ذلك كما تقدم القول فكانوا يوجهون نارهم الحامية الى الصفوف التالية . اما الصقالبة الذين في مقدمة الجيوش النمسوية فكانوا يطلقون نارهم فوق رؤوس الروس اعدائهم اسماً واخوانهم فعلا فلا يلحقون بهم ضرراً فاذا دنوا منهم انضموا اليهم وسلموا عن طيب نفس . وهذا هو سبب كثرة الاسرى النمسويين في اوائل الحرب

ولو ان النمسويين اعتمدوا على جنود من جنسهم لامكنهم الوقوف في وجه الروس ريثما تأتيهم الامداد من المانيا فانهم كانوا يجمعون نصف مليون جندي من الجنود النظامية بدلاً من ان يجمعوا مليوناً منهم ويقدموا على حركة هجوم

كبيرة كما فعلوا . لو جمعوا نصف مليون جندي من جنسهم لكان لهم منهم سلسلة صغيرة قوية ليس فيها عروة مفصومة بدلاً من هذه السلسلة الطويلة المفصومة العرى الواهية الحلقات

وقد بلغ عدد الجنود التي جردتها النمسا لغزو روسيا مليوناً منهم ٧٠٠ الف بين انهر بولندا والباقون في غاليشيا . اما الجيوش الروسية الاربعة التي كانت تقاومهم فلم تزد في الاول على ٦٠٠ الف مقاتل . وكانت النجدات ترسل اورطة فاورطة بسكة الحديد على الدوام ولكنها لم تكن كافية في الساعة الحرجة . وعليه اقدم الجنرال سخوملينوف على عمل ذي خطر من الوجهة العسكرية . ذلك انه «سحب» بعض الفيالق التي ارسلت لغزو بروسيا الشرقية وارسلها الى ايفانجورود لتعزيز الميسرة الروسية في لوبلن . فعل ذلك حينما كان الجنرال فون هندنبرج يجمع جموعه في طورن ليهاجم الجيشين الروسيين اللذين غزوا بروسيا الشرقية في تننبرج وكونجسبرج كما تقدم في الفصل الثاني والعشرين . ولا ريب ان الفيلقين اروسيين اللذين كسرا في تننبرج بقيادة الجنرال سمسونوف راحا فداء الجيوش الروسية المحتشدة في لوبلن وخولم . ولما انكسر جيش سمسونوف وقعت على الجنرال رننكامب مهمة استرجاع جيشه الى الحدود سالماً على ما فيها من المشقة وعلى صغر هذا الجيش بازاء جيش هندنبرج . ووقعت عليه ايضاً مهمة الهاء الجيش الالماني ليحول دون ارسال جزء كبير منه الى بولندا لمساعدة النمسويين

وكان الجيش الروسي الاكبر في لوبلن وخولم قد عزز بقسم من جيش رننكامب فعمد الى الهجوم فجأة في ٢٦ اغسطس فزحف ميمنته على جيش الجنرال دنكل النمسوي قرب كراسنيك. ولكن الروس لم يفلحوا في هجومهم فادعى النمسويون النصر . والحقيقة ان هجوم الروس هاج بلابل الجنرال دنكل فاستدعى اليه قسماً من الجيش النمسوي الذي كان مرابطاً حول كيالسي انتظاراً لمساعدة الالمان له

في الزحف على فرسوفيا وايفانجورود . ولكن عمله هذا اضعف حركة الهجوم الجانبية التي اقدم عليها النمسويون في ايفانجورود

وفي ٢٨ اغسطس بدأت هذه المعركة الفاصلة . وكان طول مقدمة القتال ٢٠٠ ميل وفي اقصى الجنوب منها وقف جيشا الجنرالين رسكي وبروسيلوف يقاتلان الجيوش النمسوية حول لمبرج . وامر القائد الروسي العام بالهجوم على طول الخط ليمنع النمسويين ان ينقلوا النجدات من ميسرتهم او قلبهم الى ميمنتهم التي اشتد حرج موقفها.وكان اشد الهجوم عند قلب الجيش النمسوي قرب توماسهوف على الحدود وقرب سكة الحديد الممتدة الى لمبرج . وانما شدّد الروس حملتهم على هذه النقطة لانها اسهل الاماكن لنقل النجدات النمسوية . وكانت النتيجة انهم كسروا الفرقة المجرية المرابطة هناك وهزموها

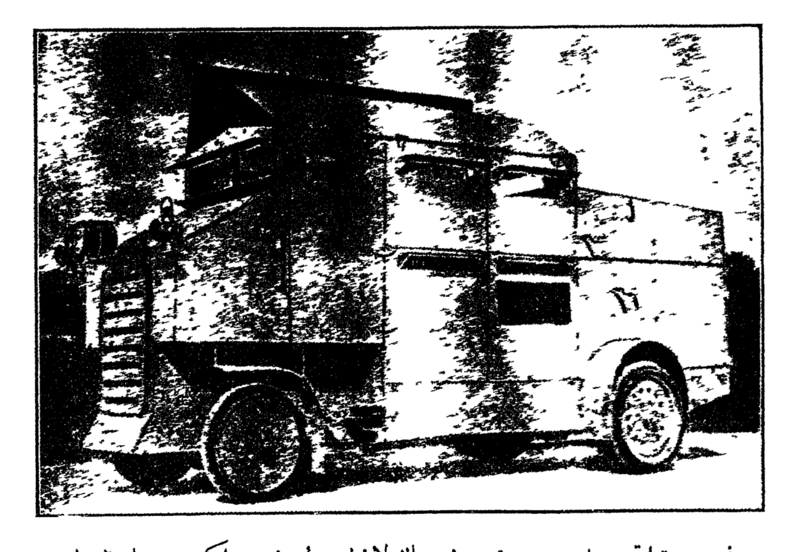
واستعرت نار القتال العام مدة اسبوع كامل بين نهري فستولا وبج بلا نتيجة فاصلة . وكانت غاية قائد الجيش الروسي العام من هذا القتال صدّ دنكل عن التقدم ومنع اوفنبرج من مساعدة الارشيدوق فريدريك في غاليشيا . وكان ينتظر نتيجة الاعمال الحربية جنوباً حيث كان رسكي وبروسيلوف وديمتريف يخترقون الميمنة النمسوية

ولا ريب ان دنكل واوفنبرج كانا يعلمان ما يجري جنوباً فلذلك بذلا كل جهد في انقاذ ميمنتهما البعيدة بسحق الجيش الاكبر الذي كان امامهما خشية ان يؤخذا من وراء في دورهما . وكان لا يزال عندهما جيش قوي في رادوم عبر نهر فستولا . ففي ٣١ اغسطس زحف هذا الجيش زحف المستميت على ايفانجورود ولو اخذها لاخذ الجيش الروسي الاكبر من وراء ولكن حاميتها والجنود الروسية المرابطة حول فرسوفيا هزمت النمسويين فساروا حذاء النهر الى اوبول حيث كان الجنرال دنكل متحصناً فعبروا النهر على جسرين من الزوارق وانضموا الى جيش

الجنرال المذكور . فحاول هذا الجنرال مرة اخرى بلوغ سكة حديد لوبلن ولكن الروس صدوه لانهم كانوا قد جاؤوا بجميع نجداتهم الى تلك البقعه

وفي خلال ذلك هاجم الجنرال اوفنبرج قلب الجيش الروسي الاكبر بعزم شديد فتقهقر الروس وظهر كأن خولم ستقع في ايدي النمسويين لان هذا الموضع كان نقطه الضعف في الصفوف الروسيه.ولكن موقف الجيشين المتحاربين تغير بغتة في ٦ سبتمبر . ذلك ان الجنرال رسكي انفذ قسماً من جيشه من لمبرج فهبوا بواصلون السير بالسرى حتى انضموا الى الجيش الاكبر وهوجم جيش اوفنبرج من ثلاث جهات فلم يعد يقوى على الهجوم لما ناله من الخسارة فلزم الدفاع واضطر في بعض الاماكن الى التقهقر

ومرّت ساعات ظهر فيها كأن مقدمة الجيش النمسوي ستخرق ولكن الجنرال اوفنبرج والارشيدوق فردريك بذلا همة كبيرة لرتق القلب والميمنة . وجاءتهم في ساعه الشدة نجدة المانية عدتها ٣٠٠ الف مقاتل ومعها المدافع الضخمة ونجدات اخرى من التيرول والمجر . فسارت ثلاثه فيالق المانيه مؤلفة من ١٥٠ الف الماني الى الاراضي الروسيه بمدافعهم الضخمه واقاموا على الهضاب المحدقه بمركز توروبين بين جيشي دنكل واوفنبرج . وكان قد ألف جناح ايمن جديد من الجنود النمسوية والمجريه والجنود التي نجت من معركتي هالكز ولمبرج فعزّز هذا الجناح ببقيه النجده الالمانية وقدرها ثلاثه فيالق مجرّبة . وكان معظم الجنود التي نجت من المعركتين المذكورتين من الجنود الموالية للحكومه اما الصقالبه وعدتهم ٧٠ الفاً فسلموا الى الروس . وعليه اصبح جيش غاليسيا بعد اعادة تأليفه واطراح المتمردين منه اقوى مما كان قبلاً . والحق يقال ان الارشيدوق فردريك قائد الجيوش النمسويه العام ابدى مقدره عجيبة في سرعه اصلاح جيشه وانتشاله من



هذهِ صورة اوتوموبيل مدرع وقد صفح بالفولاذ ليحميهُ ويحمي راكبهِ من نار الرصاص
والمدافع وقد سمي قلعة متحركة لمناعتهِ وتسليحهِ وهو يستعمل الآن كثيراً في الحرب الحاضرة

وكان الموقف الاخير الذي وقف النمسويون فيه قوياً وربما عُدّ بديعاً لولا المستنقعات التي وراءه ولولا بعده عن سكك حديد الحدود . وامتد من ضفة نهر فستولا الى ضفة نهر بجبين اوبول وزاموسك وتوماسهوف. وفي نقطة منه كان النمسويون على مرمى مدفع من سكة حديد لوبلن . ثم ان البلاد كثيرة الغابات بحيث يسهل استتار المشاة والمدفعية فيها . اما النجدة الالمانية فقد تحصنت على هضاب علوّها الف قدم وكان تحتها نهر يفصل بينها وبين مهاجميها . وكانت تحتل النقطة المركزية من مقدمة طولها ٦٠ ميلا. وفي هذه المقدمة ٩٠٠ الف مقاتل من النمسويين والمجر والايطاليين سكان ترانتينو وبعض الصقالبة رعية النمسا . وكان مع هذه القوة ٢٥٠٠ مدفع على القليل ومن جملتها المدافع الالمانية ما عدا الشيء الكثير من مدافع مكسيم

وكانت الدلائل كلها تدل على ان الروس لا يستطيعون الاقدام على حركة التفاف . فان الجيش الاول (الميسرة النمسويه) بقيادة الجنرال دنكل كان يمتد من اوبول فوق كراسنيك يحميه نهر فستولا بمياهه الواسعة العميقة حيث لا جسر يمرّ العدو عليه . وزد على ذلك انه كان للنمسويين مدفعيات في النهر فاشتركت في القتال اشتراك مدفعيات الانكليز في معركة نيوبور بالبلجيك . ومبالغة في الاحتياط اوقف فرقة المانية على ضفة النهر الاخرى للاشتراك في القتال. وكانت الفيالق الالمانية الثلاثة التي احتلت هضاب توروبين تابعة للميسرة النمسوية التي يقودها دنكل . والى يمينها الجيش الثاني (القلب) بقيادة الجنرال اوفنبرج وكان يحتل البلاد الجبلية بين توروبين وتوماسهوف . اما الجيش الثالث (الميمنة) فكان يحمي مؤخرة الجيشين الاول والثاني وامد من الشمال الى الجنوب على مسيرة يوم من لمبرج . وكان حصن جورودوك الواقع على طريق لمبرج غرباً محور حركات هذا الجيش ومدينة رافاروسكا القريبة من الحدود الروسية

النقطة التي احتشد فيها لحماية الجيش الثاني . فكان الجيش الثالث في واقع الامر الجناح الايمن للجيش كله ولكنه بدلاً من ان يكون في صف واحد معه كما تكون الاجنحة عادة انحرف الى الوراء على زاوية تكاد تكون قائمة . وهذا الانحراف هو اضمن المواقف ضدّ حركات الالتفاف

فيظهر من هذا كله ان موقف النمسويين في بولندا الروسية في الاسبوع الاول من سبتمبر كان منيعاً مناعة موقف الالمان في فرنسا في الاسبوع الثالث من ذلك الشهر . فان هضاب توروبين حيث نصبت المدافع الالمانية الضخمة اعز منالاً على المهاجم من صعيد سواسون في وادي الاين . وظهر للقائد النمسوي العام ان هجوم الروس مواجهة مصعّدين في اسناد طويلة وخائضي السواقي والمستنقعات في وجه الوف من المدافع الكبرى وعشرات الالوف من مدافع مكسيم ومليون بندقية دونها الاسلاك الشائكة ــ هذا كله ظهر للقائد النمسوي العام مستحيل الانفاذ . ثم ان مياه نهر فستولا تحول دون حركة الالتفاف من جانب وحصن جورودوك والجيش الثالث وهو اكبر من الجيش الروسي في لمبرج يحولان دون حركة الالتفاف من الجانب الآخر

فلم يبق امام المدافعين والحالة هذه سوى القتال المسمى «الحصار في العراء» على منال معركة مكدن او معركة نهر آين يشغلهم المهاجمون به حتى يدور الجنرال فون هندنبرج على الروس من بروسيا الشرقية الى فستولا الاسفل ويهددهم من وراء . وكانت سكك الحديد الالمانية قد مدّت على شكل يجعل انجاز هذه الحركة سهلا. ولكن لما كان الروس انفسهم هم اول من قاتل في الحروب الحديثة قتال «الحصار في العراء» في منشوريا فلا عجب اذا رأيناهم قد فكروا من قبل في طريقة لتجنبه . وهي الاقدام على الهجوم مواجهة مما عدّه النمسويون مستحيلاً . ولكن القائد الروسي اراد بدلاً من ان يأمر جميع جيوشه بالهجوم دفعة واحدة الّف خلف

مقدمة القتال جيشاً احتياطياً لتعزيز مواطن الضعف في مقدمته

واول عمل عمله هو انه تظاهر بالهجوم على مكان يبعد كثيراً عن النقطة الحقيقية التي اختارها لخرق الجيش النمسوي .وذلك المكان في قلب الجيش النمسوي الذي يقوده الجنرال اوفنبرج . وكان الغراندوق نقولا يرمي الى حمل النمسويين على نقل معظم نجداتهم الى القلب والميمنة ليسهل عليه خرق الميسرة . ودام القتال شديداً عدة ايام على طول الخط . ثم فتر نجاه الجنرال دنكل وبقي مشتداً تجاه الجنرال اوفنبرج . فلما راى دنكل ذلك ظنّ ان الروس انما يشددون الحملة على زميله باضعاف القوة التي امامه فراى ان يغتنم هذه الفرصة للخروج من موقفه المنيع والهجوم عليهم مواجهة وللقيام بحركة هجوم اخرى في جهة لوبلن وسكة الحديد تخفيفاً للضغط عن زميله في توماسهوف. وكان الروس قد اخلوا الطريق امامه في جهة سكة الحديد الى مسافة ثمانية اميال اغراءً وتضليلاً . فما قطع النمسويون هذه المسافة حتى صدّهم القوزاق بغتة بجموع كثيفة فارسل دنكل فرسانه عليهم ليسهل على مشاته التقهقر وليمنع القوزاق من الوصول الى مدافعه.فلم يقف شيء في وجه سيلهم الجارف تتبعهم المشاة والمدافع على اختلاف اشكالها بين مدافع متعددة الطلقات ومدافع ضخمه ومدافع هوتزر

ولم يكد النمسويون يعودون الى خنادقهم حتى بدأ الروس بالهجوم مواجهة وكان اول هجوم عظيم من هذا النوع في العصر الحديث .وهو يختلف عن هجوم الالمان على الانكليز في مونس وليكاتو في ان الالمان هجموا بجموع مرصوصة اما الروس فقد علمتهم حرب اليابان ان يغيروا طريقة الهجوم بحيث يخف فتك قنابل المدافع بالجنود الهاجمة ويعظم فتك بنادقها هي بالاعداء المعتصمين بالخنادق قبل لفّ الساق بالساق والحملة بالحراب

تبارى الفريقان اولاً بالمدافع فتفوق الروس على خصومهم وحاول بعض

المدفعيات النمسوية التي في النهر ان تضرب الروس فضربها الروس فغرق ما غرق منها وفرّ ما فر . ثم حمل مشاة الروس حملتهم الشديدة تارة وقوفاً وطوراً نياماً على بطونهم صابرين صبراً عجيباً على حرّ نار اعدائهم . متجمّعين آونة متفرقين اخرى . وكل ما انتقدوه على اعدائهم انهم كانوا يركعون احياناً عند اطلاق النار بدلاً من ان ينطرحوا على الارض فكانوا بذلك يستهدفون لنار الروس الحامية

على ان الحراب هي سلاح الجندي الروسي فوق كل سلاح. فقد علمه معلموه اتباع المدرسة الحربية الحديثة في روسيا ان النصر معقود برؤوس الحراب . وهكذا كان رغم المدافع والبنادق المتعددة الطلقات ورغم الخنادق والاسلاك الشائكة . ولكن الروس خسروا خسارة عظيمة قبل بلوغ غرضهم . فان خرق صفوف الجيوش لم يتم مرة واحدة في حرب قديمة او حديثة بلا خسارة باهظة . فكانت الصفوف تخضد الواحد اثر الاخر. وما زالت الفصائل تتلو الفصائل والاورط القادمة تحل محل الاورط الذاهبة طول الليل حتى طلوع الفجر وحينئذ ظهر ان الروس خرقوا صفوف اعدائهم

ولما رأى الجنرال دنكل ذلك ترك مركزه على عجل خشية ان فرسان القوزاق الذين كانوا يندفعون في الفوهة المثغورة يبلغون مؤخرة جيشه ويعوقون تقهقره. وقد شكا الالمان المتحصنون في تورويين مرّ الشكوى فيما بعد من ان الجنود التي جاؤوا لنجدتها تركتهم وحدهم وتقهقرت عنهم. ولكن النمسويين اضطروا الى التقهقر بسرعة خوفاً من الهزيمة . واخيراً تمكنوا من الانسحاب حذاء نهر فستولا بنظام

اما الالمان المشار اليهم فان تقهقر النمسويين عرضهم لهجوم الروس عليهم مجانبة. ولما هجم الروس عليهم من الثغرة التي فتحوها في الجيش النمسوي لم يكونوا قد [illegible] الضخمة . فاضطروا الى التقهقر ايضاً بعد ما فقدوا خمسة

آلاف رجل وتركوا وراءهم ٣٢ مدفعاً من المدافع الضخمة الجديدة وقد نقش عليها الحرفان الاولان من اسم امبراطور الالمان . ولكنهم قاتلوا قتال الابطال وهم يتقهقرون جنوباً بشرق في جهة تقهقر حلفائهم حتى بلغوا انابول على نهر فستولا

وكان في مكنة القائد العام للجيش الروسي سحق الميسرة النمسوية برمتهاولكنه كان يرمي الى نتيجة اعظم من سحق جناح واحد . وللبلوغ هذه النتيجة انتدب جيشاً كافياً لابقاءالجناح المكسور متحركاً حذاءنهر فستولاودفعهالىوراءهما اذا حاول الانقلاب شرقاً للاتصال بالقلب . ثم وجّه بقية جنوده لمقاتلة الجناح الاخر واخذ القلب من خلف . فان تمهقر الالمان من هضاب توروبين عرّض جيرانهم الذين على يسارهم لحركة اكتناف كالتي اضطرتهم هم الى التقهقر

ولكن الغراندوق نقولا كان قد عقد النية ان يمنع القلب من النجاة بالتقهقر كمانجت الميسرة . فلذلك واصل جيشه سيره بسراه يوم ٩ سبتمبر فماطلعت شمس العاشر من سبتمبر حتى احاطت الجنود الروسية بقلب الجيش النمسوي احاطة السوار بالمعصم . فان الجنرال رسكي وقف في وجهه من جهة الجنوب الغربي قرب توماسهوف . والجيش الذي كان يحاربه من اول هذه المعركة اعترض في سبيله من الشمال وحول بلدة زاموسك . وقسماً من الميسرة الروسية سدّ جميع الطرق شرقاً وجنوباً

وفي هذا الحال ارسل الغراندوق نقولا ضابطاً يحمل راية بيضاء ليطلب من الجنرال اوفنبرج التسليم حقناً لدماء مئات الالوف من الرجال . ولكن اوفنبرج رفض ذلك لانه كان قد عقد العزم على كسر الحلقة المحدقة به.قال احد الناقدين: وكل قائد حسن القيادة يفعل فعل اوفنبرج.اذقد عرف واشتهر الازان الفرنسويين في سيدان كانت لهم فرصة لاختراق النطاق الالماني الذي ضرب عليهم . فقد

كانت فيه نقطة ضعيفة لو اكتشفها الفرنسويون لفتحوا لهم فيها طريقاً للتقهقر. وكل جيش يعمل بسرعة وبشدة يستطيع الافلات من النطاق الذي يضربه العدوّ حوله ولا يخسر اكثر من خمس عدده الى ربعه بشرط وجود مقدار كافٍ من المؤونة والذخيرة عنده كما فعل الالمان في لودز فيما بعد،

وهذا ما اراد الجنرال اوفنبرج ان يصنعه ولكنه لم يفز بمرامه تماماً . فانه بعد ما دامت المجازر يوماً بطوله اخذت جنوده تتضعضع . فاطبق الروس عليها من الشمال والشرق والغرب . اما القوة المهاجمة من الجنوب فتراجعت تاركة امام النمسويين طريقاً للتقهقر ولكن طريق هذا التقهقر كان شرّاً من تعرض الجيش المتقهقر لهجوم اعدائه لانه افضى بهم الى مستنقعات نهر سان واراضيه الغامرة

وبعد تشتيت جيش اوفنبرج وجه جيش روسي الى نهر فستولا للاشتراك في دفع جيش دنكل الى المستنقعات الواقعة بين هذا النهر ونهر سان. وفي خلال ذلك كانت الميمنة النمسوية قد انتعشت انتعاشاً غير منتظر بعد معارك لمبرج فانتدب الغراندوق نقولا جيشاً كبيراً لمناوأتها . وتفصيل هذا الاجمال ان الجنرال ديمتريف البلغاري سار باربعين الف رجل بعد معركة لمبرج لطاردة الميمنة النمسوية المتقهقرة وقصده من ذلك تعريض قلب الجيش النمسوي لهجوم من وراء . ولكن الامداد جعلت ترد النمسويين تباعاً وبينها الفيالق الالمانيه الثلاثة المشار اليها آنفاً فنال ديمتريف منها ما نال الفيلق الانكليزي من الالمان في ليكاتو بفرنسا. ذلك ان الجيش النمسوي الالماني عمد الى الهجوم وحمل حملات شديدة على جيش ديمتريف وكان خمسة اضعافه عدداً. فقاتل الروس قتال الابطال ودامت المعركة ثلاثة ايام بلياليها. وفي اليوم الاخير منها بلغ الاعياء من الجنود ان نام كثيرون منهم تحت النيران الحامية . ونام ضابط وسط قصف المدافع وصفير البنادق والاعداء يحاولون اخذ خنادقه من يده . ولما فتح عينيه وجد نفسه مضطجعاً بجانب عرمة من الجثث

فحاول النهوض فاحسّ بالم في احدى قدميه واذا باصبعين من اصابعها قطعتا بفعل قنبلة بينما كان مستغرقاً في سباته .وكان الجنرال ديمتريف ما بين نوم الضابط وانتباهه قد حافظ على مركزه حتى اتته النجدة فصدّ الاعداء وقتياً

اما النجدة فجاءته بقيادة زميله القديم الجنرال بروسيلوف . ولكن جنود القائدين كانت اقلّ عدداً من جيش الارشيدوف فردريك . فهاجمت قوة من النمسويين والالمان طليعة الجيش الروسي قصد تمزيقها وخرق القلب وحملت فرقة الفرسان المجرية المسماة فرقة حرس بودابست بقيادة ضباط من اشراف المجر على خنادق الروس تروم الاستيلاء عليها عنوةً . ولاح للناظر ان لاشيء يقف في سبيل اندفاعها الشديد . وكانت المدافع والبنادق المتعددة الطلقات والبنادق المعتادة تثغر فيها اثلاماً فما تلبث الا القليل حتى تسدّها . وحاول مشاة الروس صد حملتها ولكن ذهب تعبهم سدىً وخيل اليهم ان الخنادق ستؤخذ في دقيقة من الزمان.واذا بهم يسمعون وراءهم وقع حوافر الخيل وصلصلة السلاح وكانت الخيل خيل القوزاق والسلاح سلاحهم.فالتقى الجمعان ودار بينهما الطعن والضرب والمشاة عن الجانبين يرقبون المجزرة بقلوب واجفة وابصار شاخصة . فلما انتهت المعركة لم ينج من الفرقة المجرية مخبر . ويقال ان قائدها انتحر في ساحة القتال اذ لم يطق احتمال عار الخذلان

وبذلت الميمنة النمسوية بسالة فائقة في المحافظة على موقفها بين رفاروسكا وجورودوك وكان عليها ان تحمي تقهقر القلب والميسرة وتمنع الجيش الواقف امامها بقيادة بروسيلوف وديمتريف من الاشتراك في ضرب القلب والميسرة ايضاً ولكن الجنرال رسكي انضمّ في ١٢ سبتمبر الى بروسيلوف وديمتريف قادماً من الشمال بعد سير طويل شاق فالتوت الميمنة النمسوية من الشمال واضطرت الى التقهقر غرباً ولكنها كانت اسعد طالعاً من القلب والميسرة اذ تمكنت من الالتجاء

الى حصن بجميسل القريب منها وهو الملقب لمناعته بجبل طارق السلطنة النمسوية. واخذه يستلزم حصراً طويلاً ولو بمدافع هوتزر الحديثة

قال احد النقّاد:ان الكارثة التي المت بالجيش النمسوي في محاولة غزو روسيا هي اعظم كارثة عسكرية منذ تقهقر نابوليون من موسكو . والنصر الذي حازه الروس من اعظم الانتصارات في التاريخ من الوجهتين الحربية والسياسية»

وتلا انكسار الجيش اسبوع اسود لان الروس ما فتئوا يطاردون فلوله بين نهري فستولا وسان حتى ظهر انهم سيمحون او يأسرون كل اورطة من المليون الذين غزوا بلادهم ولا سيما ان الالمان كانوا حينئذ يتقهقرون في دورهم امام الجيوش الفرنسوية والانكليزية فكان لهم من انفسهم شاغل يشغلهم عن غيرهم.ولكن التجاء الجيش الالماني الى موقفه العزيز على ضفة نهر آين مكنه من مساعدة حليفه المكسور فارسل اليه قوات كثيرة من الجنود الجديدة ومقادير كبيرة من المهمات والذخيرة في كراكوفيا فارتفع الضغط عنه .ثم اعيد تنظيم الجيش النمسوي ووضع تحت امرة اركان حرب الجيش الالماني . وقد سلبت المجر بوجه خاص زهرة جنودها الذين لم يكن لها غنى عنهم لحماية معابر جبال كرباتيا وحقول الدانوب ـ سلبتهم ليهلكوا بالالوف وعشرات الالوف على ضفاف نهر ايبر في البلجيك ضحية سعي البروسيين في الاستيلاء على كاليه

الفصل الخامس والعشرون

بعد لياج وقبل مونس

فرنسا والحرب — منشور رئيس الجمهورية — خطبة وزير المانيا الاكبر — جواب انكلترا — منشور امبراطور المانيا — مساعدة النمسا لالمانيا في فرنسا — تقدم الفرنسويين وتأخرهم في الزاس ومعابر جبال فوج

في اول يوم من اغسطس اصدر المسيو بوانكاره رئيس الجمهورية الفرنسوية الامر بتعبئة الجيش وقد ختمه بقوله : في هذه الساعة ليس عندنا شيع او احزاب بل كل ماعندنا فرنسا الابدية ـ فرنسا محبة السلام ذات العزمة الصادقة مهد الحق والعدل وهي متحدة تمام الاتحاد ترقب ما يجري بهدوء وعظمة». فلبت البلاد امر التعبئة بهمة وشوق من المانش الى بحر الروم وجبال بيرنه ومن خليج بسكي الى حدود البلجيك والزاس ولورين

وفي ٣ منه شهرت المانيا الحرب على فرنسا وفي اليوم نفسه بعث ملك البلجيك يستغيث بانكلترا فاغاثته بدخول الحرب مدافعة عنه وعن نفسها . وفي ٤ منه اصدر رئيس الجمهورية منشوراً الى جميع امم الارض يبرر فيه التجاء فرنسا الى السيف اجابة لتحدي المانيا لها ويبين انها هي المحقة في عملها وان المانيا هي المعتدية المبطلة. ثم اجتمع مجلس النواب في اليوم عينه فقرأ المسيو فيفياني رئيس الوزارة بيان الحكومة واطرى ولاء انكلترا واخلاصها . وفي ذلك اليوم ايضاً عقد مجلس النواب الالماني فخطب الوزير الاكبر خطبة دافع فيها عن المبدأ القائل ان القوة هي الحق وان مقتضيات السياسة والحرب لا تعرف قانوناً. قال: ونحن مكرهون

ان نعرض عن احتجاج حكومني لكسمبرج والبلجيك على كونه عادلاً . فان الخطأ الذي نرتكبه سنحاول التكفير عنه حالما نبلغ غرضنا العسكري . وكل من يهدد مثلنا ويقاتل دفاعاً عن اسمى ما يملك لا يجول في نفسه سوى فكر واحد وهو ان يفتح له طريقاً امامه».فكان جواب انكلترا على هذا الخطاب انها شهرت الحرب على المانيا

وفي ٥ اغسطس بدأ الجيش الفرنسوي بالزحف على البلجيك لمساعدة جيشها. وفي اليوم عينه عين اللورد كتشنر وزيراً للحربية الانكليزية . فكان اول عمل عمله انه اصدر منشوراً باسم الملك يطلب فيه نصف مليون رجل ينضمون الى الجيش النظامي للخدمة ثلاث سنوات او الى آخر الحرب . فلبى المتطوعون هذا النداء بهمة وغيرة

وفي ٦ اغسطس وافق مجلس النواب الانكليزي على منح الحكومة ١٠٠ مليون جنيه لنفقات الحرب . وخطب المستر اسكويث رئيس الوزارة . ومما قاله في خطبته : ان البلجيكيين يقاتلون ويفقدون رجالهم . وماذا عسى ان يكون موقف انكلترا اليوم امام ذلك المنظر لو قبلنا الاقتراح المخزي الذي اقترحه وزير الامبراطورية الالمانية ؟ بل اسمعوا ما سيكون جزاؤنا على خيانةاصدقائنا ونكث ميثاقنا ؟ ـ الوعد بما نصنعه المانيا في بعض الحالات ـ وعد من دولة صرحت يوم وعدت ذلك الوعد بعزمها على خرق معاهدة امضتها هي نفسها وطلبت منّا ان نحذو حذوها . يسؤني ان اقول هذا القول عنها ولكن لا مناص من ان يسجل في بطون الاوراق» . ثم طلب بالنيابة عن وزير الحرب الجديد الموافقة على اضافة نصف مليون رجل آخر الى الجيش . فوافق المجلس على ذلك

واصدر امبراطور المانيا منشوراً الى امته قال فيه : من ٤٣ سنة اي منذ تأسيس الامبراطورية كانت غاية المساعي التي بذلتها وبذلها آبائي قبلي حفظ سلام العالمين

وترقية شؤوننا بالوسائل السلمية . ولكن اعداءنا اخذهم الحسد منّا على نجاح عملنا وكمنت نار العداوة لنا في الشرق والغرب وفيما وراء البحار . وفي وسط اسلام التامّ فاجأنا العدو على غرة منّا . فالسلاح السلاح . كل تريث او تخلّف او توان انما هو خيانة للوطن . ان الامبراطورية التي اسسها اسلافنا تسأل هذا السؤال : انبقى ام لا نبقى ؟ اتبقى قوتنا ام تفقد ؟ انوجد ام نعدم ؟ على اننا سنقاوم الى آخر نسمة يلفظها آخر رجل وآخر جواد ونقاتل الى النهاية حتى لو كان العالم كله عدوّاً لنا . ان المانيا ما غلبت على امرها مرة واحدة وهي متحدة . فسيروا الى الامام مع الله انه سيكون معنا كما كان مع آبائنا»

وفي هذا اليوم فرّ الطرادان جوبن وبرسلو من مسينا واعتصما بالدردنيل. واعلن بعد ذلك رسمياً ان الحكومة العثمانية اشترتهما ووعدت بان تصرف نوتيتهما وترسلهم الى المانيا ولكنها لم تفعل

وفي خلال ذلك اي في الاسبوعين الاول والثاني من اغسطس زحف قلب الجيش الفرنسوي عابراً جبال فوج طبقاً لخطه الجنرال جوفر الاصبله . ولم يأت يوم ٩ اغسطس حتى وردت الانباء بانتصار الفرنسويين على الالمان في حصن التكيرش بالزاس فان فيلقاً فرنسوياً استولى على الخنادق التي حفرت فيه للدفاع عنه وانتصر على اللواء الالماني الذي كان يحميه وهزمه في جهة الرين ثم زحف الفيلق المنتصر على مدينة ملهوزن واستولى عليها

فهال اركان حرب الجيش الالماني ما جرى وشدّدوا على الحكومة النمسوية فارسلت فيلقين الى الزاس لمساعدة الجنود الالمانية . وعلى اثر ذلك قطعت العلاقات السياسية بين فرنسا والنمسا . ولما رأى الفرنسويون تكاثر الالمان عليهم ارتدوا من ملهوزن على مواقف في جبال فوج في ١٠ اغسطس . وتداول الالمان والفرنسويون النصر في الزاس وفوج وتقدم فرسان الفرنسويين مرة حتى باتوا

على بعد ٢٠ ميلاً من ستراسبرج. ولكن توغل الالمان في شمال فرنسا زاحفين على باريس اضطر ارباب الامر الى استدعاء الجنود الفرنسويين من الزاس ولورين الى فوج حيث حصنت مواقفها ثم تقهقرت الى ما وراء خط الحصون الممتدة من فردان الى حدود سويسره

الفصل السادس والعشرون

كبائر الالمان في البلجيك

زحف الالمان من بروكسل غرباً — ضياع الثقة بقوة نامور — خطة جوفر واسبابها العسكرية — قلق اوستند — فظائع الالمان من حرق ونهب وقتل — جناية لوفان — المحارم في مالين وترموند — على ابواب غنت

لما احتل الالمان بروكسل في ٢٠ اغسطس طفقوا في الوقت نفسه يتقدمون على طول الخط . وكانوا قد حشدوا مليون رجل او اكثر وراء ضفة نهر موز اليمنى فشرعوا يزحفون الى امام بسرعة ودقة فلم تمض ثلاثة ايام من احتلال بروكسل حتى مر بها غرباً اربع مئة الف رجل . وزحفت قوة اعظم منهم جنوباً من غير ان تعوج بالعاصمة . وقد كانت ادارة حركات الجيوش بالغة منتهى الاتقان والاحكام واستعملت السيارات الى حد لم يسبق له مثيل في الحروب الماضية. وجيء بمدافع اضخم من كل ما استعمل قبلاً في ميادين القتال فجرّت بسرعة وسهولة مجارية الجيوش في مسيرها . وقذفت المشاة في مركبات خاصة من جهة الى جهة باسرع من لمح البصر . وابدى الالمان مهارة عجيبة في امداد مدافعهم الضخمة وسائر اسلحتهم النارية بالذخيرة حتى كان عند الجيوش ما يكفيها منها في جميع المعارك التي جرت مع انها كانت تحارب بلا انقطاع وعلى بعد مئات الاميال عن

قاعدتها الدائمة . ولم تعوزها الذخيرة الا مدة وجيزة في مكان محدود من ساحة الحرب

وتقدم الجيش الاكبر فصائل كبيرة من الخيالة الأوهلان والهوسار وراكبي الدراجات . وكانت مهمتهم الاستكشاف والاتصال بالعدو والقاء الرعب في قلوب الملكيين من اعدائهم.فقضوا تلك المهمة بامانة لاتعرف الشفقة وبذلوا الجهد ليبثّوا في صدور اهل البلجيك الغربية وفرنسا الشمالية من الخوف ما بثه الاوهلان آباؤهم في فرنسا الشرقية سنة ١٨٧٠ . وخلف هذا السدّ الانساني زحفت الجيوش الكبرى محتجبة الى جهات مختلفة.فقوة صغيرة زحفت على انفرس للوقوف في وجه جيش الميدان البلجيكي.وقوة اخرى ذهبت في جهة كورتراي وميمنتها متجهة نحو اوستند وبقيتها قاصدة روبه وليل.اما الجيش الاكبر فزحف بين انغين ودينان جنوبي شارلروا . وحمل الجيش حملة شديدة على نامور والجيش الفرنسوي المرابط في المثلث الواقع عند ملتقى نهري صامبر وموز . اما في شمالي البلجيك فكانت قوة الالمان ضعيفة بخلاف قوتهم في الغرب والجنوب

وكان الحلفاء معتمدين في حماية البلجيك على حصني انفرس ونامور . فانه بقي للبلجيك نحو ٧٠ الف رجل في الميدان يلامسون الالمان شمالاً ويضايقونهم ويهددونهم بقطع خطوط مواصلاتهم ولكنهم لا يكفون لتغيير مجرى الاعمال الحربية في الميدان الاكبر . وجهد ما يستطيعون انهم يلهون فيلقاً او فيلقين عن ذلك الميدان . اما الفرنسويون فلم يتمكنوا من الاسراع لانجاد البلجيكيين لانهم عبأوا جيوشهم ووزعوها بناءً على ان هجوم الالمان الاعظم يكون بطريق الزاس ولورين ولكسمبرج شرقي نهر موز.فلما اتضح لهم ان الالمان ينوون الزحف بطريق البلجيك الوسطى والغربية لم يكن هناك متسع من الوقت لتغيير ترتيب جيوشهم. ولو ان الجنرال جوفر وجّه جيشاً ضعيفاً الى البلجيك لمساعدة جيشها للقي فشلاً

سريعاً تاماً . وفيما كانت الجنود الفرنسوية تنقل من الحدود الشرقية الى الشمالية والجيش الانكليزي يزحف الى البلجيك لاغاثة البلجيكيين سقطت نامور بعد هجوم لم يدم اكثر من يوم كامل فكان سقوطها مصاباً كبيراً لانها مذ انتقلت الى ايدي الالمان انتقل زمام سكك حديد البلجيك الى ايديهم ايضاً واصبحوا يستطيعون الزحف على فرنسا الشمالية واكتناف جيوش الحلفاء التي اجتمعت للدفاع عنها واكتساح ثلثي البلجيك . فلا عجب اذا قيل ان سقوط نامور كان السبب في تقهقر الحلفاء السريع الى باريس . وسيأتي تفصيل سقوطها في الفصل التالي

وكانت الحالة في شمال البلجيك موجبة للقلق الشديد اذ لم يكن خارج انفرس قوة كافية لمقاومة جيش الماني كبير . ثم ان حامية اوستند وعددها اربعة آلاف رجل استدعيت الى انفرس ورجال الحرس المدني في غنت وبروج صرفوا بعد ما استقر الرأي على عدم مقاومة الالمان بالقوة فيما اذا حاولوا احتلال هذين المكانين

اما اوستند فقد اختلف اهلها رأياً في الخطة التي يتبعونها . فانها من اشهر مدن الحمامات في اوربا وشهر اغسطس فيها هو افضل اشهر موسمها اذ يؤمها الناس فيه من كل صقع للاستشفاء بمياهها . فلما عرض اميرال انكليزي على اهلها انزال النوتية اليها للمساعدة على الدفاع عنها بلغ السخط غايته من الذين يعتمدون في معاشهم على السياح وطالبي النزهة وقالوا اذا نزل النوتية الانكليز الى مدينتنا اعتقد الناس عامة انها على خطر فاجتنبها السياح.وعليه ابلغوا الاميرال بادب انهم شاكرون له صنيعه وان نزول ملاّحيه الى مدينتهم غير مستحسن

ثم جعل الهاربون من وجه الجيش الالماني يقصدون المدينة زرافات فحاول اصحاب الفنادق في مبدأ الامر اغماض اعينهم عما يرون ولكنهم عادوا فرأوا الحقيقة كما هي وجعلوا يقفلون ابواب فنادقهم واحداً واحداً.وعلى اثر ذلك جاءت الانباء

بان الالمان بلغوا مدينة تورو وهي على بعد ١٥ ميلاً من اوستند شرقاً فدب الرعب في قلوب اهل اوستند فهجروها هم ومن بقي من الجنود فيها الى انكلترا. وكان في بنوكها ...،...١٢٢٠ جنيه ذهباً فارسلت الى انكلترا ايضاً

اما البلجيكيون الحقيقيون فلم يكونوا يريدون تسليم مدينتهم بلا مقاومة . وعليه اجتمعت قوة مؤلفة من مئتي رجل وخرجت الى ظاهر المدينة حيث كانت الخنادق قد حفرت والاسلاك الشائكة قد نصبت من قبل فاحتل اولئك الرجال الخنادق استعداداً للدفاع . فلما ظهرت طلائع فرسان الالمان يريدون التهام المدينة لقمة سائغة وجدوا لحمها مراً لأن البلجيكيين المتحصنين بالخنادق اطلقوا النار عليهم فلم يبال الخيالة بالنار اولاً بل اداموا الكر حتى تركوا ٤٠ بلجيكياً قتلى وجرحى ولكنهم اضطروا اخيراً الى التقهقر بعد ما خسروا خسارة جسيمة

وكان يظن في اوستند ان الالمان يستأنفون الهجوم بقوة اكبر فاعيد تسليح الحرس المدني واستعد للدفاع ولكن اهل المدينه ارسلوا رساله الى وزير داخلية البلجيك يسألونه فيها ان يطلب المساعدة من الحكومة الانكليزيه . فوجهت الحكومة الانكليزية سبع نسافات وطرادين فانزلت الى البر النوتية والبنادق المتعددة الطلقات فاحتل النوتية المدينة . ومضت اسابيع والالمان لايبدون حركة في هذه الجهة

وبعد سقوط نامور نظم الالمان الادارة العسكرية في البلجيك واتوا اعمالاً تدل على انهم ينوون ان يعدوا البلاد جزأً من الامبراطورية الالمانية بحق الفتح. فعينوا الفيلد مارشال فون درغولتز المشهور حاكماً عاماًلهم وقسمت البلاد الواقعة جنوبي الوست ومالين اقساماً عهد في ادارتها الى رجال من العسكرية . وادخلت اللغة الالمانية اليها وغير حساب الوقت فيها طبقاً للطريقة الالمانية وشرع الالمان كل يوم يبذلون وسعهم في جعل البلاد المانية . ولكن اركان حرب الجيش عمدوا

الى طريقة التخويف والارهاب حسبان انها لازمة لسببين الواحد درء الثورات بين اهل البلجيك ومنع مهاجمة المواصلات الالمانية . والثاني العبرة خشية ان ينضم اهل هولندا الى الحلفاء

***

لم يكد الالمان يطأون ارض البلجيك حتى ظهر للعالم انهم اعدوا كامل العدة لحرق المدائن والمزارع والقرى. فانهم كانوا يحملون موادخاصة باحراق البيوت . واصدروا المنشورات قائلين ان الملكيين الذين يحاولون مقاومة الجيش الالماني ينزل بهم اشد العقاب اذ يقتلون وتحرق مدنهم وقراهم . وفي كثير من القرى كانوا ياخذون الشيخ والقسيس ومعلم المدرسة وطبيب القرية رهائن حتى اذا عومل الجنود الالمان معاملة سيئة في تلك القرية قتلوهم بلا شفقة

وعمّ النهب جميع طبقات الجيش وامتد من ولي العهد الرفيع الذي اخذ ذخائر احد القصور القديمة الى الجندي الوضيع الذي انتزع السوار من يد المرأة البلجيكية . ويظهر ان الاوامر صدرت بالنهب صراحة في بعض الحالات . فان بعض الجنود الالمان جيء بهم للمحاكمة وحكم عليهم بالموت على ما نهبوا فاستأنفوا الحكم بدعوى انهم انما فعلوا ما امرهم قوادهم به . وفي كثير من الحالات كان الجنود يكرهون على النهب ولكنهم كانوا يعودون بعد انتهاء النهب الى البيوت التي نهبوها ويردون الاسلاب الى اهلها قائلين انهم ان كانوا قد اضطروا الى النهب فما هم بلصوص

وكان اذا اطلق قروي النار على جندي الماني قتل جميع الذين كانوا حيث اطلقت النار . ففي لياج مثلاً كان يسكن ٦٠ طالباً روسياً بناية كبيرة . ويقال ان واحداً او اثنين منهم اطلق النار على بعض الجنود فقتلوا كلهم واحرقت البناية التي كانوا يسكنونها

ومن افظع مذابح هذه الحرب ما حدث في بلدة ارشوت قبيل استيلاء الالمان على بروكسل وهذه البلدة تبعد ٢٦ ملاً عن انفرس . ففي ١٨ اغسطس بينما كان الجيش البلجيكي آخذاً في التقهقر قاومت ساقته قوة المانية كبيرة قرب البلدة المذكورة وحملتها خسارة عظيمة . ثم «انسحب» البلجيكيون ليلاً .وفي اليوم التالي ضرب الالمان البلدة بالمدافع واحتلوها بلا مقاومة. وكان معظم اهلها قد هجروها خوفاً من المذابح . فلما دخلها الالمان استقبلهم شيخها ووزع السيجارات على الجنود تطييباً لقلوبهم . وفي مساء ذلك اليوم قتل جنرال الماني كان واقفاً في شرفة احد المنازل . فشاع ان ابن الشيخ قتله انتقاماً لوطنه . فعزم قواد الالمان ان يجعلوا تلك البلدة عبرة لمن اعتبر . فقبضوا على الشيخ وابنه وسائر الذكور في البلدة وعددهم ٥٠٠ نسمة . ثم شدوا وثاقهم واستاقوهم الى ميدان هناك كما تساق الانعام وابقوهم فيه طول الليل . وفي صباح الغد انتقوا واحداً من كل ثلاثة وقتلوه رمياً بالرصاص . وكان بين القتلى الشيخ وابنه . قال كاتب انكليزي: «وقبل هذه المجزرة هجم الجنود على البلدة كالمجانين وجعلوا يطلقون النار على المنازل ويطرحون النساء والاولاد في الاسواق وينهبون ما يشاؤون ويهتكون الاعراض»

وفي ١٩ اغسطس دخل الالمان مدينة لوفان فطلبوا زاداً كثيراً وغرامة كبيرة. وكان المحافظ قد علق اعلاناً يحض الناس فيه على السكينة وينهاهم عن مقاومة الجنود . فقبض الالمان على بعض اعيان المدينة وفيهم المحافظ نفسه واحد اعضاء مجلس الاعيان ورئيس الجامعة وابقوهم رهائن . ثم امروا اهل المدينة بتسليم ما عندهم من السلاح والذخيرة وتوعدوا الذي لا يطيع الامر بالموت . ونهوهم عن الخروج من منازلهم بعد الساعة الثامنة ليلاً وامروا البعض بانارة منازلهم وابقاء ابوابها وشبابيكها مفتوحة طول الليل

وفي ٢٥ اغسطس امر قائد الجيش الالماني بنهب المدينة ثم حرقها فنفذ امره بلا ابطاء . قال الراوي : فان كان سبب نهب المدينة وتدميرها مجهولاً فانهما هما حقيقة لا ريب فيها . فبينا كان الناس آمنين في بيوتهم وقدجلسوا للعشاءسمعوا بغتة صوت اطلاق نار في الاسواق . ذلك ان الجنود الالمانية انبثت في كل ناحية تطلق النار على البيوت وسكانها فالذين سلموا من رصاصهم زجّوا كالقطعان الرجال في مكان والنساء والاولاد في آخر . والذين بقوا مختبئين في اقبية منازلهم احرقوا احياءً عند احراق المنازل . وقتل بالرصاص محافظ البلدة ورئيس جامعتها وسائر الذين اخذوا رهائن . ومرّ اسبوع كامل قبلما تم تدمير المنازل التي جرى عليها القضاء وعددها سبعة آلاف . ثم انتقل الجنود الى القرى المجاورة ودمروها.

وقال كاتب اميركي يصف ما رأى في لوفان بعينه : وكان الجنود يتنقلون بين البيوت طوعاً للاوامر الصادرة اليهم وهم يحملون في ايديهم مشاعل من القش يلفونها في اقبية المنازل لاضرام النار فيها . فاذا اضطرمت في الطبقات السفلى انتقلت الى العليا حتى تأكل المنازل برمتها . ورأيت في احدى ساحات المدينة ضابطاً واقفاً والجنود يسوقون امام حضرته اهل المدينة سوق الانعام الى المذبح. وبعد حديث وجيز دار بين الضابط والجنود اخذ بعض الرجال الى مكان خلف محطة سكة الحديد ثم سمعنا صوت اطلاق النار وما لبثنا ان رأينا الجنود عائدين. والله ادرى بما كان بين سمعنا وبصرنا . وغادرنا المكان على عجل وكان آخر ما رأينا منه شعلة حمراء مندلعة في كبد الظلماء . وكنت ومشاهد لوفان امام عيني كأني قرأت رواية من روايات زولا ثم حلمت بمناظر تلك الرواية.

اما مالين مدينة «الدانتلا» فلم يكن حظّها من الالمان خيراً من حظ لوفان منهم. فانهم بلغوها في ٢٤ اغسطس بعد انهزام الجيش البلجيكي في لوفان وحاولوا

دخولها عنوة ولكنهم كانوا قلالاً فردّهم البلجيكيون على الاعقاب . فاعادوا الكرة في اليوم التالي تساعدهم المدافع ولكنهم ردوا خائبين ثانية دون ان يمكنهم البلجيكيون منها . وكروا عليها ثم فرّوا للمرة الثالثة . وفي آخر اغسطس شرع الالمان يضربونها بمدافعهم من مكان اسمه هوفستاد وكان اهلها قد اخلوها في ٢٨ منه . فدمروا ما فيها من الابنية الكبيرة انتقاماً وفي جملتها الكنيسة الكبرى التي بنيت في القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد وفيها من الذخائر الثمينة ما لا يحصى . واحسن ما في تلك الذخائر صورة «الصلب» للمصور فانديك وصورة «عجيبة صيد السمك» للمصور روبن

وبعد مالين ترموند وهي مدينة صناعة باهرة ومعامل كثيرة . ففي اوائل سبتمبر التقى الالمان الزاحفون على انفرس بجنود بلجيكية على ضفاف نهر شلد حيث قامت ترموند ودار قتال بين الفريقين وقف فيه البلجيكيون وقوف الخصم العنيد.فاستنصر الالمان مدافعهم الضخمة وتكاثروا على الجنود البلجيكية فتقهقرت واحتلوا هم المدينة ولكنهم وجدوا اهلها قد هربوا منها خوفاً على انفسهم. وفي ٤ سبتمبر دار قتال بين الالمان والبلجيك خارج المدينة. ويقول الالمان ان أهل المدينة اطلقو النار عليهم . فلذلك امر قائد الجيش بحرق المدينة عقاباً . فاطلقت عوامل التدمير والتخريب فيها ولم يستبق منها الا منازل وضيعة قيل ان اهلها مسالمون للغزاة والا معمل حولوه مستشفى وبناء اتخذه ضباطهم مأوى لهم ودار البلدية

ولم تنحصر عوامل التدمير في بعض المدائن الشهيرة كالتي مرّ ذكرها بل شملت مئات من المدن الصغرى والقرى في جميع جهات البلاد . وحول قسم كبير من البلجيك الوسطى والجنوبية صحراء قاحلة . قابل مراسل جريدة نيويورك ورلد الاميركية الجنرال فون بون قائد الجيش الالماني التاسع الذي وكلت اليه الاعمال الحربية في شمال البلجيك وسأله عن سبب المحارم التي ارتكبتها الجنود

الالمانية فاجاب الجنرال بقوله : ان ما اشيع عن تلك المحارم كذب في كذب . نعم ان جنودنا يخرجون عن القياد احياناً كسائر الجنود ويأتون اموراً لا نسمح بها او علمناها . ففي لوفان مثلاً حكمت على جنديين بالاشغال الشاقة اثنتي عشرة سنة لاعتدائهما على امرأة . وانما احرقنا هذه المدينة لان بعض اهلها اطلقوا النار على جنودنا » . ثم ضرب مائدة كانت امامه بجمع يده وقال وهو مغيظ محنق : حينما يعتد الاهلون على جنودنا باطلاق النار نعلّمهم امثولة لا تنسى . واذا كان النساء والاولاد يلقون بايديهم الى التهلكة بالوقوف في طريق الرصاص فذلك لهم وضرره عائد عليهم»

اما الاعمال الحربية في شمال البلجيك الشرقي فكانت قليلة الشان مدة شهر سبتمبر . فان الالمان زحفوا حتى بلغوا ضواحي غنب ثم ارتدوا عنها فلم يدخلوها بعد اتفاق تمّ بينهم وبين محافظها . ولبثوا يلاهون الجيش البلجيكي هنا والجيش يلاهيهم هناك فيتقدمون آونة ويتأخرون اخرى انتظاراً لصدور الامر بالمهمة الكبرى ألا وهي حصر انفرس

الفصل السابع والعشرون

زحف الالمان على باريس

غرض الالمان — قوة حصون فرنسا الشرقية وضعف الشمالية — الخطط الالمانية والفرنسوية — الجيش الانكليزي ومكانهُ من خطة الجنرال جوفر — قوة الجيش الانكليزي — تعبئتهُ ونقلهُ الى فرنسا — موقفهُ في ساحة الحرب — زحف الالمان على نهر صامبر — سقوط نامور — عبور الالمان نهر صامبر عند شارلروا — معركة شارلروا — معركة مونس — انتقاد الجندي الانكليزي

يندر ان يتمكن جيش محارب من تطبيق اعماله الحربية على خطط موضوعة من قبل . قال مولتكي : ان التدابير التي تؤخذ تمهيداً لحركة حربية يراد الاقدام عليها

انما تصلح حتى وقوع المعركة الاولى بين الجيشين المتحاربين.ونتيجة هذه المعركة قد تؤثر تأثيراً عظيماً في جهة خط العمل او تحوله تحويلاً تاماً عن مجراه الاول. فالحروب تقام بناءً على فكرة او صورة عامة تتضمن بعض اغراض ومقاصد معينة لا على بروجرام مرسوم قبلا.

واول هذه المقاصد واهمها سحق جيوش الميدان لان سحقها يفقدها القدرة على المقاومة فتذعن حينئذ لمشيئة قاهرها . هذا هو المقصد الاهم.وهناك مقاصد اخرى اذا بلغها جيش ما اثرت في نتيجة الحرب مثل الاستيلاء على المواردالكبيرة التي تستورد الجيوش منها مهماتها من زاد وذخيرة . ولطالما افضى الاستيلاء على العواصم الى نتائج عظيمة ولا سيما في البلاد المزدحمة بالسكان وآثار العمران.

وكان الالمان يعتقدون ان استيلاءهم على باريس هذه المرة يكون له من الوقع ما كان لاستيلائهم عليها في حرب سنة ١٨٧٠ . فلذلك جعلوا خطتهم الحربية في الميدان الغربي تدور على اقتحام البلجيك والزحف منها على باريس . ثم ضرب باريس بالمدافع من كل جهة او تدميرعددمعلوممن حصونها الكبيرة فتسلمالمدينة لهم بعد ان يهددوها بالدمار

ولبلوغ باريس ثلاثة طرق الواحد طريق جبال فوج ولكنه لا تصلح لزحف الجيوش الكبيرة بسبب قلة المعابر والمسالك فيه . ثم ان صف الحصون المتدة من ابينال الى بلفور زعيم بصد كل جيش يروم دخول فرنسا من معابر الجبال . فقد حاول جيش نمسوي سنة ١٨١٤ اقتحام ثغرة بلفور بقيادة شوارتزنبرج فرده الحصن المنيع القائم هناك . والطريق الثاني هو ما بين تنسي وتيونفيل ولكنه يمر في بلاد اردان الوعرة الكاسية من الغابات . ثم ان سككها الحديدية المتدةالى فرنسا قليلة ودروبها العادية لا تلائم الجيوش الجرارة ومركبات المدافع الضخمة. والطريق الثالث هو طريق البلجيك ومزاياه كثيرة ولا سيما اذا استطاع الالمان

اجتياز البلجيك بسهولة . فاذا اجتازوها زحفوا على خطوط الدفاع الفرنسوية الشمالية وهي تبعد نحو ١٢٠ ميلاً عن باريس . والمعروف ان هذه الخطوط لا تستطيع صدّ جيش مسلّح باحدث الاسلحة فلا تكون عقبة كؤوداً في سبيل الزحف على العاصمة

وبعد حرب سنة ١٨٧٠ دخلت فرنسا طوراً اعترف الجميع ان لا غنى لها فيه من تهيئة اسباب الدفاع امام غارة المانية . فبنت سلسلة حصون لهذا الغرض انفقت عليها ٩٥ مليون جنيه . وافترضت اغارة المانيا على ارضها من جهتين.الاولى جهة البلجيك وخط ليل وموباج . والثانية جهة بفاريا بين تريفس ونسي . وقررت لجنة الدفاع التي عقدت حينئذ برآسة الجنرال دي رفيير تحصين الحدود من الجهتين ولكنها عدّت الحدود الشرقية (الثانية) اهم من الشمالية (الاولى) لان خطرغزو فرنسامنها اقرب ولا سيما ان الحدود الشمالية مأمونة بعض الشيء بسبب حياد البلجيك الذي ضمنه فرنسا وبروسيا وانكلترا . فلذلك بالغوا في تحصين الحدود الشرقية دون الشمالية . وعززوا حصون باريس ايضاً حتى بات طول محيط الحصون ١٢٠ ميلاً . فاذا شاء الالمان حصرها اضطروا الى جيش كبير فيقل جيش الميدان ويضيق نطاق خطته الهجومية وتضيع مزية المانيا على فرنسا في كثرة عدد اهلها

واعد الفرنسويون حينئذ مشروعاً كبيراً لتعزيز الحدود الشمالية ثم عدلوا عنه لكثرة نفقاته وانفقوا ما اقتصدوه منه على الحدود المواجهة لبلاد لورين . فلذلك اهملت الحصون التي كان يراد بناؤها في دنكركوفالنسيان ومزيير طبقاً للمشروع وتركت حصون ليل ناقصة . وكذلكخط الدفاع الثاني الممتد من لافير الى لاون وريمس

اما البلجيك فاستخدمت الخرسانة والحديدفيبناء حصون نامور ولياجوهوي.

وهي حصون اريد بها منع الالمان من دخول البلجيك . ولكن اختبار الحرب الحالية دلَّ على ان الخرسانة والحديد لا يغنيان فتيلاً امام المدافع الضخمة ولا سيما اذا خلت الحصون من هذه المدافع كما خلت حصون نامور ولياج منها . ولو استعملت هذه المدافع في الحصون المحصورة لما اجدى ذلك نفعاً كثيراً . فقد صدق المثل القديم القائل ان المكان المحصور مأخوذ . وهذا ما حمل فئة كبيرة من المهندسين على القول ان بناء الحصون الكبيرة خطأ فنّيّ وان الاستحكامات والمتاريس الترابية خير منها ولا يجوز استخدامها الاّ لدفاع المشاة من الجيش . اما المدافع فيجب ان تعيّن اماكنها بمزيد العناية والدقة قبل المعارك ولكن يجب ان لا تركب فيها الاّ قبيل الهجوم

ولادراك ماهية القتال الذي افتتحت به الحرب الحاضرة لا بدّ من ادراك الصورة القائمة في اذهان قواد الجيشين الالماني والفرنسوي . فقد كان الاولون يرمون الى اجتياز البلجيك والزحف منها على الحدود الفرنسوية فباريس وتحطيم الاسطول الانكليزي وغزوة انكلترا ووضع شروط الصلح في لندن . اما الثانون فقنعوا في بادىء الامر بخطه دفاعيه ز ما لها تعين جيش يرقب خروج الالمان من البلجيك . وآخر لحراسة الحدود الشرقية من وراء فردان وسدان ، جيش ثالث بين حصون ابينال ولانجر وبزانصون وديجون وبلفور . واخر من الاحتياطي وراءه ليوجه الى اي مكان يحتاج اليه فيه

لما حصرت لياج تحرك قسم من الجيش الفرنسوي الشمالي لاغاثتها كما تقدم في فصل سابق . ولكن لما سقطت نامور تكاثر الالمان على الطلائع الفرنسوية حتى تعرضت لخطر هجوم قوات اعظم منها عليها من المقدمة والميمنة . وكان الجنرال فرنش قائد الجيش الانكليزي في فرنسا قد جاء بفرقتين من المشاة وفرقة الفرسان لاحتلال الارض الواقعة على ميسرة الجيش الفرنسوي طبقاً لما اتفق

عليه هو والجنرال جوفر قائد الجيوش الفرنسوية العام . ويقال اجمالاً ان عدد الجنود النظامية في الجيش الالماني وعددها في جيوش الحلفاء كانا متساويين تقريباً قبل معركة شارلروا ومونس . وانما زاد الالمان في عدد الفيالق الاحتياطية ولكن هذه الزيادة لم يكن لها اثر بيّن في ميدان القتال . وذلك اولاً لان اغارة الفرنسويين على ولاية الزاس من حصن بلفور ومن جبال الفوج حولت قسماً كبيراً من الجنود الالمانية الى تلك الناحية . وثانياً لان فردان والحصون المحدقة بها تستطيع كفء كل قوة توجه عليها ولا سيما ان الالمان لم يستغنوا عن مدافعهم الضخمة لارسالها الى تلك الجهة . فلذلك صدت هجمات مشاة الالمان المتتالية عليها . نعم ان القتال كان سجالاً في القلب والميمنة ولكن يقال على وجه الاجمال ان الفرنسويين حافظوا على مواقفهم فيهما

* *

من البديهيات في الحروب ان كل هجوم لا بدّ ان يقف عند حد محدود على مر الايام لأن الجيش المهاجم يضطر الى ترك الجنود في اثره لحماية مواصلاته . فان الجيش الذي عبر به نابوليون نهر نيمن لغزو روسيا كانت عدته ٦٠٠ الف مقاتل فلم يشهد منه معركة بورودينو غير ٩٠ الفاً . ولما طارد الجنرال فون كلوك الالماني قائد الميمنة الالمانية في هذه الحرب الجيش الانكليزي بعد معركة مونس جاء وقت ضعف فيه جيشه الى حد ان بات خرقه واخذه مجانبة امرين سهلين بعد ما جاءت الجيش الانكليزي النجدات وبعد ما انضمت حامية باريس الى طرف الميسرة الفرنسوية . وكان ذلك مستحيلاً في بادىء الامر لأن قسماً كبيراً من الجيش الفرنسوي انتدب لاتباع خطة الهجوم في الزاس ولكن لما صدّ الالمان الفرنسويين وارجعوهم الى وراء في تلك الجهة لزموا خطة الدفاع حينئذ وارسل الجنرال بو بالفيلق السادس لتعزيز ميسرة الجيش الانكليزي. وحينئذ ادرك قواد الالمان

الخطر الذي احدق بهم من مد ميمنتهم لجعلوا بعد الاسبوع الاول من سبتمبر يضمون طرفي جيشهم . وبعد ما كانت ميسرة الحلفاء مهددة باكتنافها باتت ميمنة الإلمان هي المهددة بالاكتناف . وهذا هو السبب الذي حمل الجنرال كلوك على ضمها الى قلب الجيش بحركة حشد جانبية . وحينئذ تحول الحلفاء من الدفاع الى الهجوم كما سيجيء في فصل تالٍ

***

كان الجيش الانكليزي مؤلفاً من ثلاثه فيالق كل فيلق يشتمل على فرقتين. والفرقة مؤلفة من ١٢ الفاً من المشاة والاي من الفرسان و٧٦ مدفعاً وفصيلنين من المهندسين وما يتبع ذلك من رجال الاشارات والمهمات. اما الفيلق الاول فكان مؤلفاً من الفرقتين الاولى والثانية وقائدة اللفتننت جنرال السر دوجلاس هايج. واما الثاني فكان مؤلفاً من الفرقتين الثالثة والخامسة وقائدة الجنرال السر سميث دوريان . واما الفيلق التالث فكان مؤلفاً على الراجح من الفرقة الرابعة والفرقة السادسة . ولكن الفرقة الرابعة وحدها منه هي التي اشتركت في القتال وكانت بقيادة الماجور جنرال سنو . أما الفرسان الذين صحبوا الجيش من انكلترا فكانوا خمسة الوية . وقدسلمت قيادة العامة الى الفيلد مارشل السر جون فرنش

وكان جيش الحلفاء يحتل مركزاً بحده من الغرب نهر لواز وهو يصب في نهر سين على بعد عدة اميال من باريس . ومن الشمال نهر صامبر . ومن الشرق نهر موز . ومن الجنوب نهر سين ونهر اوب فرعه الشمالي . وبين نهري اوب وموز بتفرع نهر مارن ويصب في نهر سين ماراً وسط حصون باريس . ويجري الى مارن نهر اورك من الشمال . ولما كانت انهر سين واوب ومارن تجري عند اسافلها من الشرق الى الغرب وعند اعاليها من الجنوب الى الشمال فانها عقبات في وجه كل غاز يريد غزو فرنسا من الشمال او الشرق . ومن الحوائل

الطبيعية امام الغزاة من الشمال فرع من فروع لواز هو نهر آين المشهور بـ
الالمان لضفته الشمالية بعد تقهقرهم عن باريس . وهو ينبع من طرف جبال
ارجون الجنوبي ويجري شمالاً ثم غرباً ويمرّ ببلدة سواسون ثم يلتقي بنهر
لواز عند كومبين . وعليه يكون هذا النهر عقبة اخرى في وجه غاز يغزو فرنسا
من الشمال . اما اهمّ العقبات في وجه من يريد غزو فرنسا من البلجيك غربي
لواز وصامبر الاعلى فنهر صوم

وقد عين الجنرال جوفر موقفاً للجيش الانكليزي بين حصن ليل وضفه نهر
صامبر الشمالية وهو من فروع نهر موز. فلو فاز الحلفاء برد الجيش الالماني لكان الجيش
الانكليزي على مقربة من كاليه وبولون حيث نزل الى فرنسا ومن هافر قاعدته
ولكنه لما تقهقر الى جوار باريس جعل يستمد الامداد من سان نازار عند مصب
نهر لوار بطريق لمانس

سقوط نامور

كان حصن نامور كحصن لياج معززاً بحلقة من الحصون الصغرى المبنة
بالخرسانة وفيه مدافع من عيار ٦ بوصات ومدافع هوتزر من عيار ٤،٧ وهي
منصوبة ضمن ابراج مدرّعة . وقد كان ا... من الوقت لتعزيز استحكاماته
بخلاف لياج فاغتنم الجنرال ميشل قائد حاميته هذه الفرصة فسدّ الفرجات التي
بين الحصون بخنادق تحميها الاسلاك الشائكة والالغام. وكان عدد الحامية ٢٥ الفاً

ولم يكن الالمان يظنون ان البلجيكيين يقاومون جيوشهم مقاومة تذكر ولا
ان الحصون تثبت طويلاً على الهجوم فلذلك ارسلوا طلائعهم على البلجيك
ناقصة التعبئة وليس معها مدافع حصار . فلما جاءتهم مدافع الحصار لم تثبت
الحصون امامها الاكليلة اوضحاها. وهذه المدافع مؤلفة مما عياره ٢١ و٢٨ سنتمتراً
والاول يقذف قنبلة زنتها ٢٥٠ رطلاً والثاني ٧٦٠ رطلا. وقد استخدم اليابانيون

الناني في حصر بورت آرثر وضرب الاسطول الروسي في مينائها ومعركة مكدن فالحقت بحصون بورت آرثر ضرراً كبيراً

ولكن هناك طرزاً آخر من هذه المدافع عيار المدفع منه ٤٢ سنتمتراً وثقله وحده ٢١ طناً ونصف وثقله بعد تركيبه واعداده للقتال ٥٠ طناً . ونقله سهل بسكة الحديد ولكن الطرق فوق الكباري المعتادة لا تحمله . ولا يمكن اطلاقه من المركبة التي تنقله فلذلك بنى له الالمان اسس الخرسانة حيثما حكموا بارجحية استعماله وهي الاسس التي شاع ذكرها كثيراً في الحرب الحاضرة . اما زنة القنبلة في هذا المدفع فنبلغ ٢٥٠٠ رطل. والمرجح ان الالمان استخدموا بعض هذه المدافع في ضرب حصون لياج ونامور . ولكن يشك كثيراً فيما اذا كانوا قد اطلقوا كثيراً منها

على ان الجنرال ميشل قائد حامية نامور يقول ان المدافع من عيار ٢٨ سنتمتراً هي التي دكت حصون نامور . وكان اطلاقها متوالياً فلم يسعه ترميم ما كانت تدمره من الاستحكامات بين الحصون حيث وجه الالمان نارهم الاولى . وبقي المشاة عشر ساعات تحت نيران القنابل الضخمة والصغيرة من غير ان يستطيعوا الجواب . فكان الجندي اذا رفع راسه فوق جدار الحصون المستتر خلفه وقع قتيلاً لساعته . وكان معظم الضباط قد قتلوا فاستولى الارتباك على الجند وتركوا مواقفهم ففتحوا بذلك طرقاً للالمان

ثم وجه الالمان نارهم الى الحصون نفسها فلم تطق الصبر عليها اكثر من استحكاماتها . فان حصن مايزريه مثلاً اطلق ١٠ طلقات فقط في حين ان الالمان اطلقوا عليه ١٢٠٠ قنبلة في ساعة واحدة . وقتل في حصن ماركوفيليت ٧٥ رجلاً من المدفعية . وسقط حصن سوارليه في يومين وكسور بعد ما اطلقت عليه ثلاث بطريات المانية من مدافع ٢٨ سنتمتراً ٦٠٠ قنبلة في ٢٣ اغسطس و١٣٠٠ في ٢٤ .

و١٤٠٠ في ٢٥ . ويقال ان عدد هذه المدافع التي استخدمت في ضرب نامور
وكان اقربها من اهدافها على بعد ٣ اميال فلا تستطيع مدافع الحصون ان تلحق بها اذى ولو اهتدت الى مواضعها والغالب انها لم تهتد اليها

وبلغ عدد الجنود الالمانية التي اشتركت في الحصر نحو اربعة فيالق فلما انتهت منه كانت نيرانها قد اكلت الحصون حجارتها ومدافعها ورجالها . ومما ساعدهم على دخول الحصون فتحهم ابواب نهر موز الذي يخترق البلدة فقلّ ماؤه وتمكنوا من هدم استحكاماته المائية فدخلوا البلدة . وبقي البلجيكيون اربعة ايام ونصف يوم يقاومون عدوّاً جنوده عشرة اضعافهم . فلما رأى القائد ان المقاومة باتت مستحيلة والا فنيت الحامية كلها حاول استقدام الجنود من الحصون الاخرى ولكنه لم يستطيع ذلك لان سلك التلفون الممدود تحت الارض قطع ولا ريب بارشاد بعض الخونة او الجواسيس . فتقهقر قائد كل حصن بجنوده على حدة فخسروا عدداً كبيراً منهم

استولى الالمان في جملة الحصون على الحصن القائم عند الزاوية المكونة من ملتقى نهري موز وسامبر وعلى سكة الحديد الى اكس لاشابل . وكان من خطتهم ان يسوقوا جحافل كثيرة عبر نهر موز بين دردان ونامور وعبر نهر صامبر بين نامور ولياج . وكانت قوات عظيمة من الفرنسويين قد اخذت تتدفق على البلجيك منذ ١٥ اغسطس بطريق شارلروا بين موباج ونامور موليه وجهها شطر جملبو ومارة بميدان ليني حيث حاز نابوليون آخر نصر على البروسيين . ويظهر من بلاغ صدر في ٢٤ اغسطس ان الجنرال جوفر كان ينوي اتباع خطة الهجوم في جميع نقط الخط الطويل الممتد من كونده (غربي مونس وعلى بعد ٢٠ ميلاً منها) الى حصن بلفور (اقصى حصون فرنسا الجنوبية على الحدود الالمانية) . فقد جاء في ذلك البلاغ قوله :

«ان جيشاً فرنسوياً اخذ يزحف من شمالي فوفر (غابة شرقي فردان) على نفشاتو (في بلاد اردان البلجيكية) ويهاجم القوات الالمانية التي اجتازت دوقية لكسمبورج وهي الان على ضفة نهر سيموي اليمنى. وكذلك زحف جيش فرنسوي ثان من جهة سيدان وهو يجتاز بلاد اردان البلجيكية ويهاجم الالمان الزاحفين بين نهري لس وموز. وهاجم جيش ثالث من شيماي ميمنة الالمان بين نهري صامبر وموز بدعمه الانكليز المرابطون في جوار مونس»

وكان الفرنسويون قد عمدوا الى الهجوم ايضاً في الزاس وفي لورين الجنوبية. ولكن الالمان فاجأوا في ٢٠ اغسطس الفيلق الفرنسوي الخامس عشر في لورين الجنوبية (وكان قد حشد من جنوبي فرنسا) وتكاثروا عليه بقوات عظيمة جاؤوا بها من جوار متس واحتلوا لونيفيل فاوقفوا هجوم الفرنسويين عند حده جنوبي فردان . اما فشل الفرنسويين على موز الاوسط وصامبر فاليك سببه :

في ١٥ اغسطس عبرت نهر موز عند دينان (بين جيفه ونامور) فرقة من الحرس البروسي وفرقة الفرسان الخامسة وعدة اورط من المشاة وفصائل من مدفعية المتراليوز . وما كادوا يفعلون حتى دهمهم الفرنسويون وردوهم الى النهر او الى عبره وهم مشتتو الشمل فاقدو النظام . وطاردهم الاي من فرسان الصيّادة بضعة اميال وهزم الفرسان الذين كانوا يحمون تقهقرهم وكانوا اكثر منه . فهذا الانتصار ملأ الفرنسويين ثقة بانفسهم وحسن ظن بقوتهم

وفي اليوم التالي جاءت انباء انهزام الفرنسويين في لورين وارتدادهم على نسي واحتلال الالمان لبروكسل . وشاع ان فرسان الالمان متجهون نحو غنت وحدود فرنسا والبلجيك وكانت الجيوش الالمانية تتحفز للوثوب على القوة الفرنسوية البلجيكية في نامور وما حولها . وعلى الفرنسويين حذاء صامبر من نامور الى موباج . وعلى الانكليز حوالي مونس

معركة شارلروا

ولم يمضِ الا القليل حتى هاجم الالمان مدينة شارلروا مركز صناعة الحديد في البلجيك الجنوبية . وكان نابوليون قد اجتازها في ١٥ يونيو سنة ١٨١٥ سائراً الى ووترلو حيث ختم تمثيل دوره العسكري . وفي الساعة السابعة من صباح ٢١ اغسطس دخلها نفر من خيالة الالمان في زي خيالة الانكليز ولكن ضابطاً فرنسوياً وقف على دخيلتهم وهاجمهم ففرّوا بعد ما قتل اثنان منهم وجرح ثلاثة . وصدر الامر الى اهل المدينة بالتزام منازلهم ونصبت مدافع المتراليوز في عدة اماكن من المدينة وتم الاستعداد للدفاع عنها . وكان القتال قائماً في جهة جيناب

وفي اليوم التالي هاجم الالمان المدينة والكبريين القائمين على صامبر الواحد عند شاتيليه شماليها والآخر عند تهوان جنوبها . وكانوا قد اخذوا يضربون شارلروا وتوين بمدافعهم في اليوم السابق . والتحم الفريقان في اسواق المدينة والحق التركوس وجنود الجزائر والسنغال بالالمان خسارة كبيرة ولكن بنادق الالمان السريعة الاطلاق انالتهم النصر العاجل وبات نهر صامبر من نامور الى تخوم موباج في ايديهم

قال كاتب انكليزي يفصل هذه المعركة :

«بينما كان الجيش الانكليزي يهزم مئة الف الماني في مونس كانت الجنود الفرنسوية تتقهقر تقهقراً عاماً من الساحل الى نهر موز وراء سيدان . ولكن يظهر ان حظ الجيش الانكليزي كان اقل شؤماً من حظ اخيه الفرنسوي في شارلروا فانه بعد عبور الالمان لنهر صامبر عن يمين الجيش الفرنسوي الخامس بات موقف هذا الجيش حرجاً ولا سيما ان الجيش الرابع تقهقر عن جنبه . وذلك لان جيش الجنرال بولوف كان يزحمه من وراء وجيش الجنرال هوسن يدفعه من اليمين وجيشاً المانياً اخر كان يزحف على روكروا امامه فاضطر لذلك ان يتقهقر على عجل

والم بفرقتين من فرقه خسارة عظيمة مع شدة ما ابدى المدفعيةمن حسن الرماية. وكان عدد رجال هذا الجيش مئتي الف رجل.وجميع جيوش الحلفاء في هذه الناحية من فرنسويين وانكليز وبلجيكيين ٣٤٥ الفاً امامهم ضعفاهم من الالمان

وكانت خطة الجنرال جوفر ان يوقف الالمان عن الزحف من بروكسل ثم بضرب ساقتهم .وامتدت مقدمة جيشه من اراس الى نامور مارة بمونس وشارلروا. وكان في اراس الجنرال داماد يقود ٤٠ الفاً من الاحتياطي . وفي مونس الجيش الانكليزي وعدته ٨٠ الفاً . وفي شارلروا الجيش الفرنسوي الخامس وعدته ٢٠٠ الف كما تقدم . وفي نامور قوة بلجيكية عددها ٢٥الفاً

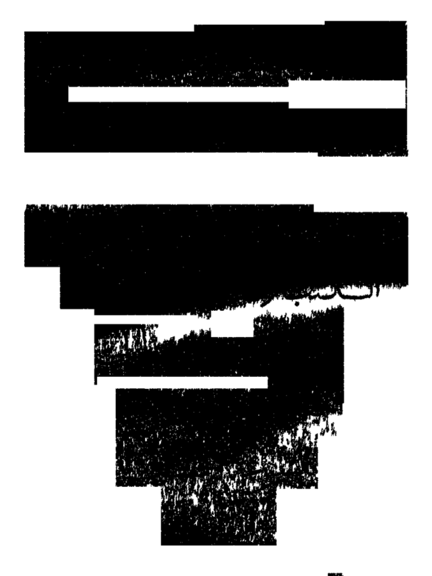
والظاهر ان الجنرال جوفر لم يكن يعلم ان الالمان جنوبي بروكسل ضعفا رجاله عدداً . فانتدب جيشين من جيوشه للاقدام على الهجوم ظناً ان الجيوش المذكورة نستطيع ان تقف في وجه الالمان بين اراس ونامور . وعهد الى احد ذينك الجيشين في الاعمال الحربية على موز بين نامور وجيفه فاوغل في بلاد اردان الوعرة الكثيرة الغابات . وزحف الجيش الاخر الذي كان مرابطاً قرب سيدان الى جنوب الجيش الاول على وادي سموا شمالاً ووالى زحفه حتى بلغ مدينة نفشاتو في لكسمبرج . وكان غرض زحف الجيش تطهير بلاد اردان من الجنود الالمانية ثم ضرب الجيش الالماني عند لياج وقطع مواصلاته في البلجيك الوسطى: فلو نجحت هذه الخطة وبات مليون عسكري الماني وقد حيل بينهم وبين قاعدتهم التي يستمدون منها زادهم وذخيرتهم لكان موقفهم هذا اشبه شيء بموقف الفرنسويين في سيدان سنة ١٨٧٠ ولاضطروا الى التسليم

ولكن الجيشين المهاجمين كانا دون خصومهما عدداً وعدداً . ففي كل نقطة من نقط خط القتال كان عسكريان المانيّان مقابل عسكري فرنسوي واحد ومدفعان من مدافع كروب مقابل مدفع فرنسوي واحد . اما البنادق المتعددة

الطلقات فان الالمان تفوقوا بها على اعدائهم كثيراً . وكانت نتيجة هذا التفوق في الرجال والمعدات أن جيش الفرنسوي الزاحف بطريق وادي سموا دفع الى وراء بقوة شديدة فاضطر الفرنسويون الى اخلاء جميع الاراضي التي الى الجنوب من مزيير الى غاية ارجون . اما الجيش الاخر الذي كان بين دينان ومزيير حذاء نهر موز الى النهر وعبره الالمان عند جيفه . وهذه الكارثة هي التي افضت في الاكثر الى التقهقر العام من نامور الى شارلروا فمونس لان وجود الالمان في جيفه صيرهم جنوبي ساقة الحلفاء في نامور بمسافة ٢٥ ميلاً فلو زحفوا غرباً لاحتلوا فليفيل وافيسن ولاندرسي وليكاتو وكمبراي ولقطعوا خط الرجوع على الجيش البلجيكي والجيش الانكليزي والجيش الفرنسوي الخامس

وفي خلال ذلك كان زمام نهر صامبر بين شارلروا ونامور قد خرج من يد الجيش الفرنسوي الخامس المرابط في شارلروا وعدته ٢٠٠ الف لان الالمان عبروا النهر عند قرية تامين فاخذ الجيش يتقهقر منها على عجل الى مسافة بعيدة ولا سيما ان الالمان اوغلوا جنوباً بعد عبورهم نهر موز عند جيفه . ووقع بين امرين فاما الفناء واما التسليم . فان جيشين من الالمان عدد رجالهما ٤٠٠ الف كانا يزحمانه من وراء ويجدان في السير على جناحيه للالتفاف حوله . وجيشاً آخر بلغ نقطة على مسيرة يومين امامه كما تقدم فلا بدع اذا تقهقر وهو لا يلوي على احد ولا بدع اذا عجز عن نصرة الجيش الانكليزي المرابط في مونس

وحينئذ ظهرت براعة الجنرال جوفر كالصبح لذي عينين فان الجيش الخامس الذي امسى اضعف الجيوش الفرنسوية لم يلبث ان اصبح فجأة اقواها . ذلك أن الجنرال بو قدم من الزاس بنجدات كبيرة تبلغ اربعة فيالق فانضمت اليه وتمكن بها من الارتداد على مطارديه الالمان في جيز فهزم فيلق الحرس الالماني وفيلقه الاحتياطي والفيلق العاشر ودفعهم الى ما وراء لواز .




الاسعار

